حِفظُ اللهِ للعَبْدِ

قَصَص - حِكم - فوائد - مواعِظ

جمع وترتيب وتخريج

أبي العِز عبد السَّلام بن عبده المعبأ

تقديمُ فضيلةِ الشّيخ

أبي بكر جابر الجزائري



دار القمة

الإسكندرية

دار الإيمان

الإسكندرية

حِفظُ اللَّهِ للعَبدِ

قصص - حكم - فوائد - مواعظ

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: حفظ الله للعبد (قصص-حكم-فوائد-مواعظ)
المؤلف: أبي العز عبد السلام بن عبده المعبأ
رقم الإيداع: ٢٠٨٩٨/٢٠١٩
نوع الطباعة: ٢ لون
عدد الصفحات : ١٦٠ صفحة
القياس: ١٧ x ٢٤
تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / عادل المسلماني .

٢٠٢٠

الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة لتوزيع الكتاب بالشرط الشرعي
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية .
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

حِفظ الله للعبد

قصص - حِكم - فوائد - مواعظ

تقديم فضيلة الشيخ

أبي بكر جابر الجزائري

جمع وترتيب وتخريج

أبي العز عبد السلام بن عبده المعبأ

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

٤

كلمة تقريظ

لفضيلة الشيخ / أبو بكر جابر الجزائري ـ حفظه اللّه تعالى ـ

المدرس في المسجد النبوي الشريف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ...

أما بعد :

لقد ناولني الشيخ المحب / أبو العز عبد السلام المعبأ،كتابه : [**فاللّه خير حافظًا وهو أرحم الراحمين**] حفظوا الله فحفظهم ، قصص في حفظ الله للعبد ، وقرأ عليَّ فوجدته نعم الكتاب مما حواه من القصص والعبر والعظات .

نسأل الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– أن يوفق القائمين على طبعه ونشره بين المسلمين، وأن يتمسكوا بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وأن ينهجوا منهج السلف الصالح رحمهم الله أجمعين .

وباللّه التوفيق

المحب

أبو بكر جابر الجزائري

المدرس في المسجد النبوي الشريف

مُقدِّمة

لفضيلة الشيخ / أبي الحسن علي بن محمد المطري - حفظه الله تعالى -

رئيس مركز الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى -

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه تعالى ، ونستعينُه ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله مِن شُرُور أنفُسنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ ، وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا الله وَحْدَهُ ربي لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

أما بعـد :

فإن التربية بأسلوب القصة منهج رباني:ذكره الله في القرآن الكريم، وحث عليه فقال – تعالى – :﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ٣ ﴾ [يوسف:٣] ،و﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ١٢٠ ﴾ [هود:١٢٠].

كذلك التربية بالقصة والموعظة بها أسلوب نبوي كريم : دأب عليه النبي العظيم محمد ﷺ ففي البخاري أن النبي ﷺ قال : « **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ** » (١) .

الشاهد من الحديث : « **وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ** » .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦ / ٤٩٦ رقم ٣٤٦١) في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والترمذي في جامعه (٧ / ٤٣١ – ٤٣٢ رقم ٢٨٠٦) في العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، ثم قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح) .

وهناك أحاديث عدة أخبر بها ﷺ تدل على أهمية ذكر القصة ، ومن ذلك على سبيل الإشارة :

❊ قصة : عجوز بني إسرائيل .

❊ قصة : الأقرع ، والأعمى والأبرص .

❊ قصة : ماشطة بنت فرعون .

❊ قصة : الثلاثة الذين دخلوا الغار .

❊ قصة : صاحب المزرعة وقول الملك للسحاب : اسقي حديقة أرض فلان .

❊ قصة : صاحب الجرة .

❊ قصة : البقرة التي تحدثت لصاحبها : لم أُخلق لهذا : أي: للركوب على متنها .

❊ قصة : العابد المجتهد وأخيه المفرط .

❊ قصة : الملك والوزير الأعمى والغلام المؤمن .

وكان ﷺ : يحب سماع القصة ، كما في حديث : عائشة حيث ذكر قصة : إحدى عشرة، في الجاهلية ، ومنهن : قصة / أم زرع .

والحديث في البخاري ومسلم معروف بحديث : أم زرع .

و« لَمَّا رَجَعَتْ مُهَاجِرَةُ الْحَبَشَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: « **أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعْجَبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟** ».

قَالَ: فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ عَلَيْنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَتْ: سَتَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانَا يَكْسِبُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ عِنْدَهُ غَدًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**صَدَقَتْ، ثُمَّ صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ قَوْمًا لَا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم**»(١). وغيرها من القصص .

وهكذا التربية بالقصة أسلوب ومنهج سلفي:حث عليه السلف الصالح الأبرار، وتناقلوه فيما بينهم ، فقد كان عمر الفاروق يحب غرائب الأخبار وكان بعض السلف يقول : الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب أوليائه «وشاهده من كتاب الله قوله تعالى:﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[هود: ١٢٠] .

وقال الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ : حكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليَّ من كثير من الفقه لأنها آداب القوم وأخلاقهم ، وشاهد ذلك من كتاب الله قوله

(١) حديث قوي بشواهده. مسلم بن خالد –وهو الزنجي – وإن كان سيء الحفظ –وقد تابعه في المرفوع منه الفضل بن العلاء عند المؤلف في الرواية الآتية، وباقي رجاله ثقات من رجال الصحيح. ابن خثيم: هو عبد الله بن عثمان بن خثيم. وقال الإمام الذهبي في «العلو للعلي الغفار» ص٦٨عن هذا الإسناد بعد أن ساقه: إسناده صالح، وأخرجه ابن ماجه «٤٠١٠» في الفتن: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبو يعلي «٢٠٠٣» من طريقين عن يحيى بن سليمن عن ابن خثيم، بهذا الإسناد.
وله شاهد من حديث بريدة عند البزار «١٥٩٦»، والبيهقي في «السنن» ٦/ ٩٥ و١٠/ ٩٤، وفي «الأسماء والصفات» ص٤٠٤، وهو حسن في الشواهد، قال الهيثمي ٥/ ٢٠٨، ونسبة للبزار، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، لكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات.
وعن ابن عباس عند الطبراني في «الكبير» «١١٢٣٠».
وعن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب عند الحاكم ٣/ ٢٥٦، والبيهقي ١/ ٩٣.
وعن عائشة عن البزار»١٣٥٢».
وعن أبي سعيد الخدري عند ابن أبي شيبة ٦/ ٥٩٢، وابن ماجه «٢٤٢٦»، وأبي يعلى «١٠٩١». وعن ابن مسعود عند الطبراني «١٠٣٤».
وعن قابوس بن مخارق عن أبيه عند الطبراني في «الكبير» ٢/ »٧٤٥«
وعن معاوية بن أبي سفيان عند الطبراني أيضًا ١٩/ »٩٠٣«
وعن معاوية وعبد الله بن عمرو عند الطبراني ١٩/ »٩٠٨«، وأبي نعيم في «الحلية» ٦/ ١٢٨، ووكيع في «أخبار القضاة»١/ ٣٧.

تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

والتربية بالقصة التربوية الهادفة تجمع للقارئ الكريم بين رسوخ الفكرة السامية في الذهن من جهة ، وبين المتعة والتشويق من جهة أخرى ، وبين الفائدة والعبرة والعظة من جهة ثالثة .

التربية بالقصة تؤثر في نفس من معها وتبقى في ذاكرته أكثر من تأثير وثبات الكلام الإنشائي النظري.

قال أبو عمرو بن العلاء : قيل لرجل من بكر بن وائل وقد كبرت سنه وذهبت منه لذة المأكل والمشرب والمنكح أتحب أن تموت ؟ قال لا ، قيل فما بقي من لذتك ؟ فقال استمع العجائب . كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ ثم أقول فكيف إذا كانت القصة هي قصة القرآن الكريم تلك الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج التي يهفوا إليها السمع، ثم تكون أقوى رسوخًا من خلال عبرتها في النفوس .

وتمتاز قصص القرآن بست نقاط تقريبًا :

١- إيضاح أسس الدعوة إلى الله .

٢- تثبيت قلب النبي ﷺ لقوله تعالى : ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠ ﴾ [هود:١٢٠] .

٣- تصديق الأنبياء السابقين ، وإحياء ذكراهم ، وتخليد آثارهم .

٤- إظهار صدق النبي ﷺ في دعوته ، بما أخبر عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال .

٥- مقارعة أهل الكتاب بالحجة، كقوله تعالى: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٣].

٦- القصة ضرب من ضروب الأدب يصغي إليه السمع وترسخ عبرة في النفس ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١].

وأخيرًا أخي القارئ الكريم: بين يديك رسالة أخينا وولدنا الحبيب المبارك/ أبي العز عبدالسلام بن عبده آل المعبأ، وقد تصفحته كاملًا فرأيت فيه من المواعظ والعبر، ووجدتها جديرة بالنشر، وقد بذل جهدًا يشكر عليه من خلال الموضوع: [**حفظ الله لعبده وحفظ العبد لربه** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ]، فجزاه الله خيرًا.

ونسأل من ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا من الحافظين لحدوده في السر والعلن وأن يحفظنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من مظلات الأهواء والفتن وأن يجعلنا من عباده الصالحين.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله أجمعين.

كتبه فضيلة الشيخ
أبو الحسن / علي بن محمد المطري
رئيس مركز الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله- للدراسات الشرعية وإعداد الدعاة
يوم الاثنين ١٤٢٩/١٢/٣٠هـ

١٢

مُقدِّمة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ باللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسنا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّاَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] [(١)] .

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يبدأ بها في خطبه، وكان يعلمها أصحابه - رضي الله عنهم - وكان السلف يفتتحون بها خطبهم في دروسهم وكتبهم .
وقد رويت عن ستة من الصحابة وهم: عبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، ونبيط بن شريط، وعائشة - رضي الله عنهم - .
وأخرجها : الترمذي رقم (١١٠٥) والنسائي (٣/ ١٠٥) وأحمد رقم (٣٧٣٠) وعبد الرزاق (١٠٤٤٩) وأبو داود (٨/ ٢١) والحاكم (١٨٣) والطحاوي (١- ٢) والطيالسي (٣٣٨) والبغوي (٢٢٦٨) والبيهقي (٣/ ٢١٢) والطبراني في الكبير رقم (١٠٠٨٠)
وقد جمع الشيخ الألباني - رحمه الله - طرق الحديث فيها في مؤلف بعنوان : « خطبة الحاجة التي كان الرسول ﷺ يعلمها لأصحابه» ، من طباعة المكتب الإسلامي عام : ١٤٠٠ هـ.

أما بعـد :

إن الأمة الإسلامية تعيش أحوالًا من الضعف والتفكك، وتذوق ألوانًا من الذل والهوان، وتقاسي مآسي من التفرق والتشرذم، والعقلاء يتطلعون لرؤية مستقبلية تنقذ الأمة مما هي فيه .

وقد أدلى المثقفون برؤيتهم، والسياسيون بحلولهم، والكُتاب بنظراتهم ، تعددت التحليلات للأسباب، وتنوعت النظرات بالمخارج والحلول .

وقد آن الأوان بالأمة جمعاء شعوبًا وأفرادًا حكامًا ومحكومين أن يتبصروا الحقيقة وأن يستجلوا الحلول الناجحة من منطلقات ثوابت دينهم ومرتكزات أصولهم ومنهج سلفهم .

ومن هذا المنطلق علينا أن نعلم أن أستاذ البشرية ومنقذها من الظلمات إلى النور ،نبينا محمد ﷺ يوصي ابن عمه عبد الله بن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بوصية غالية، بوصية رسم فيها طريق النجاة من الهلاك، وهذه الوصية ليست خاصة بابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إنما هي لكل الناس للملوك والوزراء، والموظفين والأطباء والمهندسين، وللتجار والفلاحين، وللرجال والنساء .

فهي وصية للأمة جمعاء للأولين والآخرين، وإرشاد نبوي لكل من أراد النجاة والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة تقول له هذه الوصية : « احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ » .

يا من تريد أن تحفظ نفسك من الظالمين والماكرين والمخادعين - احفظ الله .

ويامن تريد أن تحفظ مالك من الضياع والسرقة والتلف - احفظ الله .

يامن تريد أن تحافظ على منصبك - احفظ الله .

ويامن تريد أن تحافظ على مصدر رزقك - احفظ الله .

يامن تريد أن تحفظ أولادك - احفظ الله .

يا حافظ الآمال أنت حميتني ورعيتني

وعدا الظلوم علي كي يجتاحني فمنعتني

فانقاد لي متخشعًا لما رآك نصرتني

إن صور حفظ الله تعالى لعباده الصالحين كثيرة، ومتعددة، وتمتد إلى جوانب شتى، ولكننا نذكر شيئاَ منها على سبيل الاختصار، وبها يدفع هذه شبهة أن الحفظ خاص بالأنبياء والمرسلين أو بالزمن المتقدم ؟، ونبين - إن شاء الله - أن الحفظ عام في كل زمان ومكان وشامل لكل عباد الله الصالحين فلا يشترط لذلك إلا شرطًا واحدًا فقط وهو : أن يكون العبد وقافًا عند حدود الله ، حافظًا لله بفعل الطاعات واجتناب السيئات على الوجه الذي يرضاه الله تبارك وتعالى ومن صدق الله صدقه الله.

وقد استعرضنا في هذا الكتاب نماذج من حفظ الله تعالى لعباده الصالحين، وأنبيائه ورسله، وكيف أنهم حفظوا الله - عَزَّوَجَلَّ - فحفظهم الله - تعالى - وذلك في جوانب شتى، فمنهم من حفظهم الله في بدنه وسمعه وبصره، ومنهم من حفظهم في أموالهم ،ومنهم من حفظهم عند الموت بحسن الخاتمة، ومنهم من حفظهم،ومنهم من حفظهم في أعظم صور الحفظ على الإطلاق وهي صورة حفظ الله تعالى للعبد في دينه وصلاحه واستقامته ، نعم إن هذا النوع هو أعظم أنواع الحفظ وأفضلها وأهمها وأعلاها على الإطلاق

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

منهج البحث :

وبناء على ما تقدم سيكون منهجنا في هذا البحث تقسيمه إلى أربعة أبواب

كل باب يندرج تحته عدة فصول على النحو التالي مع خاتمة لهذه الأبواب :

الباب الأول – ذكر حديث : « احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ» .

الباب الثاني – أسباب حفظ الله للعبد .

الباب الثالث – حفظ العبد لربه .

الباب الرابع – أقسام حفظ الله للعبد .

الخاتمة.

هذا وقد قصدنا من عملنا هذا وذكر صور ونماذج القصص في حفظ الله للعبد التذكرة والموعظة لمن ألقى السمع وهو شهيد .

والله تعالى أسأل أن يرزقنا جميعًا الإخلاص والاستقامة إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أخوكم

أبو العز عبدالسلام عبده بن عبده المعبأ

٢٠/ذي الحجة / ١٤٢٩هـ

أهمية الموضوع

كلمة القصص جمع مفردها قصة، والقصة في لغة العرب هي الأخبار المروية والأنباء المحكية، وقد سمى القرآن الكريم ما حدثنا به من أنباء الغابرين قصصًا، ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [طه: ٩٩]، و﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [هود: ١٠٠]، وأصل القصص عند العرب هي تتبع الأثر، فالعليم بالآثار يسير وراء من يريد معرفة خبره ويتتبع أثره حتى ينتهي إلى موضعه الذي حل فيه، والقصص لون من ألوان الأدب يقبل الناس عليه مالا يقبلون على غيره، فهو حبيب إلى نفوسهم، تهواه النفوس وتطرب إليه القلوب، وتصغى إليه الأسماع، وقد كثر في أيامنا هذه كتابة القصص، وحولت كثير منها إلى مسرحيات وأفلام، فمنها الرواية ومنها الأقصوصة ومنها الخيالية ومنها الواقعية وغيرها من أنواع القصص في هذا العصر، وتحرص كثير من الدول على بث ثقافتها وقيمها من خلال القصص عبر الأفلام والكتب والمجلات لأسر عقول البشر وقلوبهم ليصبحوا تبعًا لها ودائرين في فلكها، ولا شك ولاريب أن أحسن القصص وأنفعها قصص القرآن والسُّنَّة، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣] .

ولقد اعتاد كثير من الناس أن يقرؤوا القصة للمتعة والتسلية، لأنه استقر عندهم أن أكثر القصص لا تمثل الحقيقة، وإنما هو تأليف وتلفيق، يدل على هذا أن كثيرًا من القصص يستحيل وقوعها، فهي قصة متخلية الوقائع والأحداث، وقد ابتكر بعض الكتاب اليوم نوعًا يسمى بالخيال العلمي، يتخيل فيه ما يمكن أن يصل إليه البشر في المستقبل ويصور حال الناس في ذلك الوقت، أما قصص القرآن

وصحيح السُّنَّة فهو حق كله وصدق كله، فهو يحكي أخبارًا وقعت لا زيادة فيها ولا نقصان، ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ [الكهف: ١٣] ، و﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾[آل عمران: ٦٢] .

ومتى أيقن العباد أن ما يتلى عليهم من قصص القرآن وما بلغهم من حديث الرسول ﷺ كله حق وصدق فإنه له أثر عظيم في تقويم نفوسهم وتهذيب طباعهم وأخذهم العبر والعظات من هذه القصص، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يقص على الناس ما يعلمه من القصص، ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦] .

ولقد كان الرسل والدعاة يأخذون العظة من قصص السابقين، ولا تزال قصص القرآن والسُّنَّة زادًا تروي النفوس وتثبت القلوب، ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾[هود: ١٢٠].

إن القصص القرآنية والحديثة تمثل الصورة الواقعية والعملية التي ترسم التعاليم القرآنية في مشاهد نابضة بالحياة، وكثير من الناس يرون الحق من خلال الواقع العملي أكثر مما يعرفونه من خلال التعاليم المجردة، ولذا فإن المستقيم من البشر قد يؤثر مسلكه في الناس أكثر مما تؤثر أقواله فيهم.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة، وأربعة أبواب، ووقفات ختامية ، وفهرس، وذكر أهم المصادر، وتفصيل ذلك كالآتي:

المقدمة : وفيها سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطته .

الباب الأول: ذكر الحديث ، وفيه خمسة فصول:

* الفصل الأول: نص الحديث.
* الفصل الثاني: راوي الحديث .
* الفصل الثالث: من أقوال العلماء في هذا الحديث .
* الفصل الرابع: ما يرشد إليه الحديث .
* الفصل الخامس: معنى الحفيظ.

الباب الثاني: أسباب حفظ الله للعبد، وذكرت فيها سبعة أسباب باختصار.

* حفظ العقيدة :
* تقوى الله عَزَّوَجَلَّ .
* التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ .
* الوضوء .
* الأوراد والذكر .
* المحافظة على صلاة الصبح في وقتها .

❋ التزود بالنوافل .

الباب الثالث: كيف يحفظ العبد ربه ويكون ذلك بأمور ستة وهي كالتالي:

❋ حفظ الله عَزَّوَجَلَّ يكون بتقوى الله .

❋ ويكون بحفظ الصلوات الخمس .

❋ ويكون حفظ الله بحفظ الأيمان .

❋ ويكون بحفظ اللسان :وفيه ثلاثين قصة من قصص حفظ السلف لألسنتهم.

❋ ويكون بحفظ البصر .

❋ ويكون بحفظ الفرج .

الباب الرابع : حفظ الله للعبد وفيه فصلين .

❋ الفصل الأول : حفظ الله لأنبيائه .

❋ الفصل الثاني: أقسام حفظ الله للعبد ، وفيه سبعة أقسام وهي:

❋ حفظ الله للعبد في جوارحه .

❋ حفظ الله للعبد في بدنه .

❋ حفظ الله للعبد في أولاده .

❋ حفظ الله للعبد في ماله .

❋ حفظ الله للعبد في عرضه .

❋ حفظ الله للعبد في دينه .

❋ حفظ الله للعبد عند موته وبعده .

وقفات ختامية : وفيها ست وقفات .

❋ هكذا علمتني الحياة .

❋ اعمل ما شئت كما تدين تدان .

❋ كن عاقلًا .

❋ كفى مخادعة .

❋ سبيل النجاة .

❋ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ .

❋ فهرس الموضوعات .

❋ أهم المصادر .

٢٢

الباب الأول

نص الحديث

تمهيد :

نقصد : بـ [نص الحديث] هو : حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وهو قوله ﷺ : « احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ » وموضوعنا في هذا البحث هو « **قصص في حفظ اللّه للعبد** » ولكن لا بد من ذكر هذا الحديث في بداية البحث لأن عنوان البحث مأخوذ من هذه الوصية في الحديث، مع ذكر بعض الفصول المتعلقة بهذا الحديث لرتباطها بحفظ الله للعبد، ولأن فهمها ومعرفتها ضرورية العمل بها حتى يكون العبد من الذين حفظهم الله تعالى .

وعلى هذا قسمنا هذا الباب إلى خمسة فصول :

* الفصل الأول: نص الحديث .
* الفصل الثاني: راوي الحديث .
* الفصل الثالث: من أقوال العلماء في هذا الحديث .
* الفصل الرابع: ما يرشد إليه الحديث .
* الفصل الخامس: معنى الحفيظ.

1 الفصل الأول

نص الحديث وتخريجه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: **يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ** . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رقم:٢٥١٦ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: **احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** (١). (٢)».

---

(١) صحيح – أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد ١/ ٢٩٣ و ٣٠٣ و ٣٠٧ ، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، والفريابي في «القدر» (١٥٣)، والطبراني ١١/ (١٢٩٨٨) و (١٢٩٨٩)، وفي «الدعاء» (٤٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥)، وابن منده في «التوحيد» (٢٤٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى» (١٥٠٥) و (١٥٠٨)، وأبو سعيد النقاش في «فوائد العراقيين» (٩)، والبيهقي في«الشعب» (١٩٢)، وفي «القضاء والقدر» (٢٨٧)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (١٢) و(١٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» ٢٤/ ٢٠-٢١ من طريق قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس قال: فذكره. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح. وقال ابن منده هذا إسناد مشهور، رواه ثقات، وقيس بن الحجاج مصري روى عنه جماعة،ولهذا الحديث طرق عن ابن عباس، وهذا أصحها،وانظر حديث رقم:٧٩٥٧ في صحيح الجامع .

(٢) شرح مفردات الحديث: خلف : ضد قدام .على دابة : على حمار رديفا للنبي ﷺ . يا غلام : الصبي من حين يفطم إلى تسع سنين وقيل غير ذلك. إني أعلمك كلمات: ينفعك الله بها . احفظ الله: بملازمة تقواه واجتناب نواهيه. يحفظك : في نفسك عما يضرك.
تجاهك: أمامك. إذا سألت: إذا أردت السؤال.استعنت:طلبت الإعانة. فاستعن بالله: لأنه القادر على كل شيء .الأمة: المخلوقات. تعرف إلى الله: بملازمة طاعته.في الرخاء: في السعة. يعرفك في الشدة: بتفريجها عنك .واعلم: كلمة تنبيه. أن النصر:من الله لعبده. مع الصبر:على طاعة الله وأقداره التي فيها المصائب. الفرج: الخروج من الهم والغم. الكرب: الغم والضيق، وهذه الكلمات مترادفات تقريبا.

2

الفصل الثاني

راوي الحديث

هو عبد الله بن عباس، بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، ابن عم النبي ﷺ يكنى أبا العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، حبر الأمة، وترجمان القرآن ، ضمه النبي ﷺ إلى صدره وقـال: « اللهم علمه الحكمة » [١]، وقـال « اللهم علمه الكتاب[٢] » ، ووضع يده بين كتفيه ، أو على منكبيه وقال: « اللهم فقهه في الدين، وعلـمه التأويل [٣] » .

فأدرك علمًا كثيرًا ، حتى كان عمر يقـدمه مع الأشياخ وهو شاب، وقال فيه : « ذاكم فتى الكـهول له لسان سـؤول وقلب عقول .

وقد روي عن أبي وائل قال : » استعمل على بن عباس على الحج فخطب يومئذ خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور[٤]» .

توفي ابن عباس بالطائف في سنة ثمان وستين فصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات رباني هذه الأمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - [٥] .

(١) رواه البخاري(كتاب فضائل الصحابة،باب ذكر ابن عباس٧/ ١٢٧ فتح-ط/ دار السلام.
(٢) رواه البخاري(كتاب فضائل الصحابة،باب ذكر ابن عباس٧/ ١٢٧ .
(٣) رواه أحمد في المسند(٢٣٩٧-٢٨٧٩ط/ مؤسسة الرسالة،وقال الشيخ الأرناؤوط إسناده قوي على شرط مسلم.
(٤) تذكرة الحفاظ - (١ / ٤٠) .
(٥) سير أعلام النبلاء(٣/ ٣٣١ط/ مؤسسة الرسالة)،فتح الباري(٧/ ١٢٧ ط/ دار السلام .

٢٥

3

الفصل الثالث

من أقوال العلماء في هذا الحديث

إن هذا الحديث ، عظيم جدًا من وصايا المصطفى ﷺ ، خص بها ابن عمه ، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : وهذه الوصايا جمعت خيري الدنيا والآخرة .

إخواني الكرام: تدبروا هذا جيدًا ، وتدبروا قوله عليه الصلاة والسلام: «احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ».

من الذي لا يسعى في دنياه إلى أن يحفظه الله - تبارك وتعالى - من أي سوء ؟!

يجتهد الناس في هذه الحياة الدنيا إما لجلب النفع أو دفع الضر ، وإذا تأملنا هذا الحديث وجدنا كل ما جاء فيه متعلقًا بهذا الموضوع .

فكل الناس في هذه الدنيا ، إنما يسعون ، ويجتهدون ، ويعملون ، من أجل أن يحققوا لهم في أنفسهم ما ينفعهم في العاجلة أو الآجلة ، ويدفع عنهم ما يضرهم، ومحور ذلك وجماعه كله في هذه الوصايا التي أوصى بها النبي ﷺ **(احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ)** أي : في دنياك وآخرتك [(١)].

إخواني المسلمين : إن في هذا الحديث ، من معاني التوحيد ، والتعلق بالله وحده ، وتسليم الأمور له وحده ، والطمأنينة بقضائه وقدره ، ما يشعر المسلم معه بطمأنينة النفس، وسكون الروح ، وسمو المشاعر ، وانضباط الجوارح [(٢)].

فهي وصية رسولنا ﷺ ، للأولين والآخرين .

---

(١) من محاضرة « احفظ الله يحفظك » للشيخ الدكتور : سفر بن عبد الرحمن الحوالي، بتصرف .
(٢) موسوعة خطب المنبر .

قال بعض الصالحين : إذا أردت أن توصي صاحبك أو أخاك أو ابنك فقل له: احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ[١].

وقال سليمان بن داود عليهما السلام: « أوتينا مما أوتي الناس، وما لم يؤتوا، وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا، فلم نجد كحفظ الله في السر والعلانية [٢].

فهذا حديث عظيم من جوامع كلمه ﷺ تضمن قواعد جامعة ووصايا نافعة .

وقال الحافظ ابن رجب : هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة ، وقواعد كلية من أهم أمور الدين ، وأجلها ، حتى قال الإمام / أبو الفرج في كتابه « صيد الخاطر»: [تدبرت هذا الحديث ، فأدهشني ، وكدت أطيش ،ثم قال : فوا أسفي من الجهل بهذا الحديث ، وقلة التفهم لمعناه[٣].

وقال ابن حجر الهيتمي : بأن هذا الحديث اشتمل على هذه الوصايا الخطيرة القدر، الجامعة من الأحكام ، والحكم ، والمعارف ما يفوق الحصر، فأعظم به من حديث ما أفيده[٤].

وقال ابن عثيمين : فهذا الحديث الذي أوصى به عبد الله بن عباس ، ينبغي للإنسان أن يكون على ذكر له دائمًا ، وأن يعتمد على هذه الوصايا النافعة ، التي أوصى بها النبي ﷺ ابن عمه عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [٥] .أ- هـ .

---

(١)ذكره الدكتور : عايض القرني : في كتابه [احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ] .
(٢) رواه أحمد في الزهد ص٥١، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٩٩-٣٠٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٢٨١-٢٨٢، وابن أبي الدنيا في إصلاح المال «٣٢٥» ص٣٠٢، الدينوري في المجالسة «٢٩٢٨» ٧/ ٦٦، وابن الجوزي في الحدائق ١/ ١٣٥، وانظر الدر المنثور ٥/ ٦٤٨ و كتاب الفوائد لبن القيم .
(٣) جامع العلوم والحكم ، عند شرح حديث « احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ » وكتاب : نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس ص٤٠.
(٤) فيض القدير : ٣/ ٧٦ .
(٥) شرح رياض الصالحين، باب : المراقبة .

4

الفصل الرابع

ما يرشد إليه الحديث

١- جواز الإدراف على الدابة إذا كانت تطيق .

٢- حب الرسول ﷺ للأطفال وإركاب ابن عباس خلفه ومناداته : يا غلام لينتبه لا يطيل عليه بل هي كلمات تحوي معاني عظيمة .

٣- ملاطفة النبي ﷺ لمن هو دونه حيث قال : « يا غلام إني أعلمك كلمات » [١].

٤- اهتمام النبي ﷺ بتوصية الأمة ، وتنشئة الجيل المؤمن المثالي .

٥- حرص النبي ﷺ على غرس العقيدة السليمة في نفوس المؤمنين .

٦- الأمر بالمحافظة على حقوق الله وحقوق المخلوقين.

٧- أن الجزاء قد يكون من جنس العمل لقوله : « احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ».

٨- الأمر بالاعتماد على الله والتوكل عليه دون غيره.

٩- عجز الخلق كلهم وافتقارها إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

١٠- التنبيه على أن دار الدنيا دار بلاء وامتحان فينبغي الصبر والرضى بالقضاء والقدر.

١١- إن الخلق كلهم لو اجتمعوا على أن يضروا أحدا أو ينفعوه لم يستطيعوا شيئا لم يقدره الله له أو عليه.

١٢- إن الله ينصر الصابر ، وأن مع كل ضيق فرجًا ومخرجًا ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾.

(١) قاله العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح الأربعين .

١٣- أن من أضاع الله ـ أي أضاع دين الله ـ فإن الله يضيعه ولا يحفظه ،﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩] .

١٤- اصطفى الله تعالى هذه الأمة من بين سائر الأمم ، ليكتب لها التمكين في الأرض ، وهذا المستوى الرفيع لا يتحقق إلا بوجود تربية إيمانية جادة تؤهلها لمواجهة الصعوبات التي قد تعتريها ، والأعاصير التي قد تحيق بها ، في سبيل نشر هذا الدين، وإقامة شرع الله في الأرض .

١٥- ومن هذا المنطلق ، حرص النبي ﷺ على غرس العقيدة السليمة في النفوس المؤمنة ، وأولى اهتمامًا خاصًا للشباب، ولا عجب في ذلك! ، فهم اللبنات القوية والسواعد الفتية التي يعوّل عليها نصرة هذا الدين، وتحمّل أعباء الدعوة وفي الحديث الذي نتناوله، مثال حيّ على هذه التنشئة الإسلامية الفريدة ، للأجيال المؤمنة في عهد النبوة ، بما يحتويه هذا المثال على وصايا عظيمة ، وقواعد مهمة ، لا غنى للمسلم عنها.

١٦- وأولى الوصايا التي احتواها هذا الحديث ، قوله ﷺ : «**احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احفظ الله تجده تجاهك** » ، إنها وصية جامعة ترشد المؤمن بأن يراعي حقوق الله تعالى ، ويلتزم بأوامره ، ويقف عند حدود الشرع فلا يتعداه ، ويمنع جوارحه من استخدامها في غير ما خلقت له ، فإذا قام بذلك كان الجزاء من جنس العمل .

5

الفصل الخامس

معنى الحفيظ

الحَفِيظُ : مبالغة من الحفظ وعدم النسيان ، والحفيظ : هو الحفاظ للشيء وراعيته بما يصلحه ويبقه لأجله ، والمتعهد للأمور بعدم نسيانها والغفلة عنها .

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود: ٥٧] .

[للحفيظ] معنيان : [١]

أحدهما : أنه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير وشر وطاعة ومعصية ، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنها وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ ووكل بالعباد ملائكة كرامًا كاتبين ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٢] .

فهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد كلها ظاهرها وباطنها ، وكتابتها في اللوح المحفوظ ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة ، وعلمه بمقاديرها ، وكمالها ، ونقصها ، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ، ثم مجازاته عليها بفضله وعدله .

والمعنى الثاني :

من معنى [الحفيظ] أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهونه ،وحفظه لخلقه نوعان [عام ، وخاص].

فالعام : حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايتها، وإلى مصالحها بإرشاده وهدايته العامة التي قال عنها: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ

(١) نقلًا من كتاب : شرح أسماء الله الحسنى، بتصرف .

شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه: ٥٠].

أي هدى كل مخلوق إلى ما قدر له وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل، والمشرب، والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره والمضار . وهذا يشترك فيه البر والفاجر، بل الحيوانات وغيرها .

فهو الذي يحفظ السماوات والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه .

وقد وكّل بالآدمي حفظةً من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله : أي يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.

النوع الثاني : حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، يحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه، والفتن، والشهوات، فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة، وحفظ، وعافية، ويحفظهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم ويدفع كيدهم ، ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ﴾ [الحج: ٣٨]، وهذا عام في جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم ، فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعه الله بلطف، وفي الحديث: «احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ» أي احفظ أو أمره بالامتثال ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها : يحفظك في نفسك، ودينك، ومالك، وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله . اهـ .

٣٢

الباب الثاني

أسباب حفظ الله للعبد

تمهيد :

يعيش الإنسان في هذه الحياة الدّنيا وهو يأمل أن يشمله الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– برعايته وحفظه، ويدفع عنه شرور الدّنيا وأذى الخلق ووساوس الشّيطان، ولا شكّ بأنّ هذا الحفظ الرّباني للعباد لا يكون إلّا بأخذ العبد بالأسباب التي تؤدّي إلى ذلك، فما هي أسباب حفظ الله للعبد؟ .

وقد ذكرنا في هذا الباب سبعة أسباب وهي :

السبب الأول : حفظ العقيدة .

السبب الثاني : تقوى الله عَزَّوَجَلَّ .

السبب الثالث : التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ .

السبب الرابع : الوضوء .

السبب الخامس : الأوراد والذكر .

السبب السادس : المحافظة على صلاة الصبح في وقتها.

السبب السابع : التزود بالنوافل .

٣٣

1

السبب الأول
حفظ العقيدة

أنت القوي فقد حملت عقيدة أما سواك فحاملو أسفار

من أعظم أسباب حفظ الله للعبد حفظ العقيدة ، والحرص على سلامتها مما قد يشوبها ، فإن ذلك أعظم أسباب حفظ الله للعبد ، كما يجب حفظ الشريعة وذلك بالعمل بها ، والدعوة إليها ، والدفاع عنها .

فإذا كان قوله ﷺ : « **احفظ الله** » يعني احفظ حدوده ، وحقوقه ، وأوامره ونواهيه ، فإن أعظم حقوقه توحيده في ألوهيته ، وربوبيته ، وأسمائه وصفاته ، واتباع كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ ، المصدرين لتلقي العقيدة ، والحذر من الانزلاق مع الهوى ، أو تقديم العقل على النص الشرعي مما أوقع كثيرًا من الفرق والنحل في الشرك والبدع والمخالفات .

وحفظ العقيدة يكون بتعلمها والإيمان بها والعمل بمقتضاها ، وتعليمها والدعوة إليها (١).

(١) منقول بتصرف من كتاب (احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ) للدكتور : محمد بن عبدالعزيز العلي .

2

السبب الثاني
تقوى الله عز وجل

مـــن يتق الله يحمـــد في عواقبه ويكفه شر من عـزوا ومن هانوا
مـــن استجار بغير الله في فزع فــإن ناصــره عجز وخــذلان
فالزم يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركــن إن خانتك أركان

ومن أعظم الأسباب لحفظ الإنسان ، هي تقوى الله عَزَّوَجَلَّ ، كما ورد ذلك في كتاب الله وفي سُنَّة النبي ﷺ فالإنسان إذا اتقى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فإن الله تعالى يحفظه في حالات ومقامات متنوعة ، وسأذكر بعضًا من ذلك .

فمن ذلك ، نصرة الله للمتقي وتأييده له وتسديده: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤] ، والمعية هذه معية نصرة ، وتأييد ، وتسديد ، قال الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ مع المتقين : أي بالعون والنصر والتأييد والتوفيق ومن كان الله معه حصل له السعادة الأبدية [(١)].

ومنها الحفظ من كيد الأعداء : فإن الإنسان لا يخلو من عدو أو من حاسد ﴿ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠ ﴾ [آل عمران:١٢٠] ، فيدفع الله عنه شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال التقوى .

ومنها محبة الله عَزَّوَجَلَّ لعبده التقي : ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

(١) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ ص٧٩.

﴿ٱلْمُتَّقِينَ ٧٦﴾ [آل عمران: ٧٦] .

ومنها حفظ الأهل والمال والمصالح من بعده : ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ٩﴾ [النساء: ٩]، فأرشد الله تعالى الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شئونهم لكي يحفظ ابناءهم، ويغاثون بالرعاية الإلهية بل يحفظ الفروع وفروع الفروع كما ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] ، ولكن هناك أمر مهم وهو .... ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾، فحفظ الله الأبناء بصلاح ذلك الأب .

قال محمد بن المنكدر : « إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها ، والدويرات التي حولها فما يزالون في حفظ الله وستره» (١) .

ومنها أنها سبب للنجاة من عذاب الدنيا كما قال تعالى : ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ١٨﴾[فصلت: ١٨].

ومنها أنها خير سبيل ومهرب من كل شر : كتب رجل من السلف إلى أخ له : **« اوصيك وأنفسنا بالتقوى ، فإنها خير زاد الآخرة والأولى ، واجعلها إلى كل خير سبيلك ، ومن كل شر مهربك ، فقد توكل الله ـ عز وجل ـ لأهلها بالنجاة مما يحذرون ، والرزق من حيث لا يحتسبون »** (٢) .

فمن اتقى الله حفظه الله ، ومن ضيع تقواه ضيعه الله .

قال بعض السلف : « من اتقى الله ، فقد حفظ نفسه ، ومن ضيع تقواه ، فقد ضيع نفسه، والله الغني عنه» (٣) .

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ١١٢) برقم (٣٣٠) والحميدي في مسنده (١/ ١٨٥) برقم (٣٧٣) .
(٢) ذكره ابن رجب الحنبلي في [جامع العلوم والحكم ١/]١٦١ .
(٣) أنظر : جامع العلوم والحكم : عند شرح هذا الحديث .

وقال رجل ليونس بن عُبيد : أوصني ، فقال : « أوصيك بتقوى الله والإحسان ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » [1] .

وقال له رجل يريد الحج : أوصني : فقال له :«اتق الله ، فمن اتقى الله ، فلا وحشة عليه » [2] .

بل إن التقوى يجعل الإنسان بها حلاوة ، وشرف ، وهيبة بين الخلق لأن الإنسان يحب أن تكون له مكانة بين الناس .

ألا إنما التقوى هي العز والكرم　　　وحبك للدنيا هو الـذل والسقم
وليس عـلى عبدٍ تقي نقيصـة　　　إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

(١) ذكره ابن رجب الحنبلي في [جامع العلوم والحكم ١/ ١٦١] .
(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٦١ .

3

السبب الثالث

التوكل على الله عز وجل

سهـــرت أعين ونامت عيــون — في أمـــور تكون أو لا تكون
فادرأ الهم ما استطعت عن النفس — فحملانك الهمـوم جنون
إن ربا كفاك بالأمس مــا كان — سيكفيك في غـــد مـا يكون

من الأسباب التي تحفظ الإنسان : التوكل على الله عز وجل :

فمن توكل على الله كفاه ما أهمه ، ودفع عنه ما يكره ، وقضى حاجته ، وحفظه من كل شر بإذن الله ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١ ﴾ [النساء: ٨١]، و﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق: ٣] .

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ :

وأما قوله :﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فإن معناه : ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به ويرضى بقضائه فإن الله حافظه وناصره لأنه [عزيز] لا يغلبه شيء ولا يقهره أحد فجاره منيع ومن يتوكل عليه مكفي .

وقال أيضًا : وقوله : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ يقول : وفوض إلى الله أمورك وثق به فإنه كافيك جميع من دونه حتى يأتيك أمره وقضاؤه﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١ ﴾ يقول : وحسبك بالله قيما بأمورك وحافظًا لك[١].

(١) انظر : تفسير الطبري .

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ :

قال الله تعالى مخاطبًا للمؤمنين ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٠] ، يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار ، وكيد الفجار باستعمال الصبر ، والتقوى ، والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم إلا به ، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته،ومن توكل عليه كفاه .

وقال أيضًا :﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾[النساء: ٨١]، أي : كفى به وليًا وناصرًا ومعينًا لمن توكل عليه وأناب إليه.

وقال أيضًا : وقوله تعالى :﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، يعني من توكل على الله كفاه الله ما أهمه ، وحفظه من شر الناس وعصمه .

وقال أيضًا : وقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي : يعتمد على جنابه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٩] أي : لا يضام من التجأ إليه فإن الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في أفعاله لا يضعها إلا في مواضعها فينصر من يستحق النصر ويخذل من هو أهل لذلك .

وقال أيضًا : يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار، وكيد الفجار ، ويحفظهم ، ويكلؤهم ، وينصرهم ، كما ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ ﴾ [الزمر: ٣٦] ، وقال : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] »[(١)] .

واعلم أن من توكل على الله في كل المهمات كفاه الله تعالى كل الملمات ، لقوله

(١) راجع : تفسير ابن كثير .

تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] ، فالله عَزَّوَجَلَّ إذا توكل عليه العبد يكفيه ، وهو حسب من توكل عليه . والحسب : هو الكافي ، يمنع الشر عنك ويكفيك ما أهمك، ويكفيك عدوك .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى الآية : « حسبك الله أي : كافيك ، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ، ولا يضره إلا أذى[١]».

قال محمود الوراق :

توكل على الرحمن في كل حاجة … أردت فإن الله يقضي ويقدر [٢]

وقال آخر :

توكل على الرحمن في الأمر كله … فما خاب حقًا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه … تفز بالذي ترجوه منه تفضلا [٣]

وقال محمد بندار بن أصرم :

أيا قلب لا تجزع من البين واصطبر … فليس لما يقضي عليك بدافع
توكل على الرحمن إن كنت مؤمنا … يجرك ودعني من نحوس الطوالع
وكل الذي قد قدر الله واقع … وما لم يقدره فليس بواقع [٤]

(١) انظر بدائع الفوائد (٢/ ٤٦٥) .
(٢) انظر : تفسير القرطبي : ٣٠٦/١٣ .
(٣) انظر : المستطرف (١/ ١٥٤) .
(٤) أنظر : روضة العقلاء (١/ ١١٢) .

4

السبب الرابع
المحافظة على الوضوء

من أسباب حفظ الله للعبد ، الوضوء :

يقول صاحب كتاب [فقه العبادات ـ على المذهب المالكي] : «يندب الوضوء لدخول السوق لأنه محل لهو واشتغال بأمور الدنيا ومحل الأيمان الكاذبة ، فللشيطان فيه قوة وتسلط على الإنسان ولما ورد أن أول من يدخل الأسواق الشياطين براياتها وأنها شر البقاع والوضوء سلاح المؤمن ودرعه الحصين من كيد الشيطان وكيد الإنس والجن » أ . هـ[(١)] .

فإذا توضأ الإنسان بإذن الله عصمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الشكوك ، ومن الشهوات ، ومن الأرواح الخبيثة التي تخالطه ، ومن العيون الغادرة الماكرة الحاسدة، ومن النقمات– بإذن الله .

(١) راجع : فقه العبادات (١/ ٥٦) .

5 السبب الخامس

الأوراد والذكر

هذه بعض الأوراد الثابتة عن النبي ﷺ ، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يعيننا على الذكر بها دائمًا صباحًا ومساءً ، وعند النوم وهي :

أ- آية الكرسي :

ولها حديث عجيب عند العابدين حتى أن ابن القيم – رحمه الله تعالى –كان يقول أسأل الله أن يمد في عمري حتى أكتب مجلدات في تفسير كنوز هذه الآية فآية الكرسي يقولها الإنسان فيبقى في رعاية الله وحفظه.

وقد جاء في صحيح البخاري : من حديث : أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ: ـ فذكر الحديث ـ فقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ :«**صدقك وهو كذوب** »[1] .

ب- خواتيم سورة البقرة :

يقول النبي ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه[2] » .

ويقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :« عجبت لمسلم ينام ولا يقرأ خواتيم سورة البقرة ».

(١) صحيح : رواه البخاري برقم (٣١٠١) .
(٢) صحيح : أخرجه البخاري برقم (٣٧٨٦) وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة رقم (٨٠٧) .

ج ـ المعوذات :

يقول ﷺ لأحد أصحابه : « **قل هو الله أحد ، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء** »[١] .

والحكمة من قراءة هذه السور : أن فيها استعاذة بالله عَزَّوَجَلَّ مما يحدث من المهالك، ولا سيما من الهوام والحشرات القتالة ، فإذا اشتغل العبد بهذه الآيات عند الصباح والمساء، وعند دخوله في الفراش ، كان في حفظ الله تعالى .

د ـ قول : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير:

في الصباح مائة مرة ، وفي المساء مائة مرة ، ومن قالها فله أربعة أشياء من الله ، وعدًا غير منقوص ، وغير مردود ، وغير منسي بإذن الله ، وهذا ثابت في صحيح البخاري تكتب له مائة حسنة وتكفر عنه مائة سيئة ، وكانت له عدل عشر رقاب ، وتكون له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت يوم القيامة أحد بمثل ما جاء به إلا رجل عمل بمثله أو زاد عليه .

هـ ـ قول : أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق :

فلقد جاء في : صحيح مسلم . من حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة قال : « **أما لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمت الله التامات من شر ما خلق لم تضرك** »[٢] .

(١) صحيح : رواه أبو داود برقم (١٥٢٣) والنسائي (٣/ ٦٨) والترمذي (٢/ ٨) قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم (٤٤٠٦) في صحيح الجامع .
(٢) صحيح : رواه مسلم برقم (٢٧٠٩) .

وجاء في السُّنن : أن النبي ﷺ قال : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلا قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ .[1]» .

و ـ قول : بسم الله توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله عند الخروج من المنزل :

وعنْ أنسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِه فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، ولاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟[2]» .

ز ـ قول : (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) :

يقول النبي ﷺ : «مَنْ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ[3]» .

ح ـ ومن أنفع الحروز كتاب الله عز وجل :

ولا إله إلا الله ! كيف يعيش الإنسان في هذه الحياة بلا قرآن ؟ .

---

(١) من قالها حين يمسي ثلاث مرات لم تضره حمة تلك الليلة : أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٠ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: ٥٩٠ ، وابن السني برقم : ٦٨ . وانظر : صحيح الترمذي ٣/ ١٨٧ . وصحيح ابن ماجه ٢/ ٢٦٦ وتحفة الأخيار ص٤٥ .

(٢) صحيح : رواه أبو داود ٤/ ٣٢٥ والترمذي ٥/ ٤٩٠ . قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٤٩٩ في صحيح الجامع ١٥١ .

(٣) صحيح : أخرجه أبو داود ٤/ ٣٢٣ والترمذي ٥/ ٤٦٥ وابن ماجه وأحمد . انظر : صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٣٢ . قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٤٢٦ في صحيح الجامع .

6

السبب السادس

المحافظة على صلاة الصبح في وقتها

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمْ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ »(١) .

ومعنى في ذمة الله : أي في حفظ الله .

(١) صحيح : أخرجه مسلم برقم (٦٥٧) .

6 السبب السابع

التزود بالنوافل

يقول الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – في الحديث القدسي : « وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ [1] الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي [2] لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » . [3]

(١) (كنت سمعه...) أي : أحفظه كما يحفظ العبد جوارحه من التلف والهلاك وأوفقه لما فيه خيره وصلاحه وأعينه في المواقف وأنصره في الشدائد.

(٢) أي : استجار بي مما يخاف .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ٣٨ باب التواضع حديث رقم : ٦٥٠٢ .

٤٦

الباب الثالث

حفظ العبد لربه

تمهيد :

حفظ العبد لربه يكون بحفظ حدوده ، وشريعته ، بلا تجاوز، وحفظ حقوقه ، وأوامره ونواهيه ، وذلك باتباع أوامره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، واجتناب نواهيه ، وكذلك بأن تتعلم من دينه ما تقوم به عبادتك ، وتدعوا به إلى الله عَزَّوَجَلَّ .

وعلى هذا قسمنا هذا الباب إلى ستة مطالب :

المطلب الأول – حفظ الله عَزَّوَجَلَّ يكون بتقوى الله .

المطلب الثاني – حفظ الصلوات الخمس .

المطلب الثالث – حفظ الأيمان .

المطلب الرابع – خفظ اللسان .

المطلب الخامس – حفظ البصر .

المطلب السادس – حفظ الفرج .

1 المطلب الأول

حفظ العبد لربه

حفظ الله عز وجل يكون بتقوى الله :

قال بعض السلف : من اتقى الله ، فقد حفظ نفسه ، ومن ضيع تقواه ، فقد ضيع نفسه، والله الغني عنه[1].

وقد تقدم الكلام عن التقوى بما فيه الكفاية في باب – أسباب حفظ الله لعبده–.

(١) جامع العلوم والحكم (١٧٨) .

2 المطلب الثاني
حفظ الصلوات

إن من أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة ، فقد أمر الله بالمحافظة عليها، ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٣٨] ، وسمى المواظبة على الصلاة ، وأدائها حفظًا ، ومدح المحافظين عليها فقال جل جلاله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩].

هذه الصلاة : من حافظ عليها كان في حفظ الله وكان له عهد عند الله بأن يدخله الجنة ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **خَمْسُ صَلَوَات كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَاد ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ** [(١)]» .

ويقول أيضًا ﷺ : «**مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ** »[(٢)] .

فالصلاة : عمود الدين الذي لا يقوم إلا به ، وهي من أعظم أركان الإسلام من حافظ عليها فهو السعيد الرابح ، ومن ضيعها فذلك الشقي الخاسر .

فهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله ، فإن صلحت فقد فاز ، ونجا ، وإن فسدت فقد خاب ، وخسر ، ورد عليه بقية عمله .

فمن حفظ الصلاة في أوقاتها وخشوعها وخضوعها وجماعتها، حفظه الله،

---
(١)
(٢) صحيح : رواه مسلم برقم (٦٥٤) .

٤٩

ومن ضيع الصلاة ضيعه الله.

فالصلاة أمر من الكريم الرحمن ، ووصية النبي العدنان ، وشعار أهل الإسلام والإيمان.

وهي عماد الدين، ورأس اليقين ، وقرة عيون الموحدين .

وهي دليل الإسلام ، وعلامة الإيمان ، وعصمة دم الإنسان .

وهي رافعة الدرجات ، ومذهبة السيئات ، ومكفرة الذنوب والخطيئات .

وهي زاد الطريق، وراحة الروح، وسكينة الجوارح، ونور القلب، وزكاة الأنفس، وسلامة الصدور، وبرهان النجاة.

3 المطلب الثالث

حفظ الأيمان

ومما أمر الله تعالى بحفظه : الأيمان ، ولهذا لما ذكر الله كفارة اليمين، قال تعالى : ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾[المائدة: ٨٩].

فمن حفظ أيمانه دلَّ على دخول الإيمان قلبه .

وكان السلف يحافظون على الأيمان ، فمنهم من كان لا يحلف بالله البتة ، ومنهم من كان يتورع حتى يكفر عما شك في الحلف فيه .

وقد ورد التشديد العظيم في الحلف الكاذب ، ولا تصدر كثرة الحلف بالله إلا من الجهل بالله ، وقلة هيبته في الصدور .

4

المطلب الرابع
حفظ اللسان

احْفَظْ لِسَانَك أَيُّهَا الْإِنْسَانُ   لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ صَرِيعِ لِسَانِهِ   كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

من حفظ العبد لربه أن يحفظ لسانه ، فإن حفظ اللسان عمَّا لا خير فيه من أعظم أعمال ابن آدم ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**» [١] .

ويقول عليه الصلاة والسلام :« **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» [٢] .

ولهذا قيل : فَرَجَعَتْ أَحْكَامُ الشَّرِيعَة إِلَى أَقْوَال وَأَفْعَال، وَجَمِيعُ الْأَقْوَال مُتَعَلِّقَةٌ أَحْكَامُهَا بِاللِّسَان، وَقَلَّ أَنْ يَخْلُوَ فِعْلٌ عَنْ قَوْل، فَاللِّسَانُ مِنْ أَعْظَم جَوَارِحِ الْإِنْسَان، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْه: قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ [٣].

وَلَمَّا طُلِبَ مِنْ لُقْمَانَ أَوْ غَيْرِه أَطْيَبُ مَا فِي الْحَيَوَان أَتَى بِقَلْبِهِ وَلِسَانه، ثُمَّ طُلِبَ مِنْهُ أَخْبَثُ مَا فِيهِ فَأَتَى بِهِمَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ هُمَا أَطْيَبَا الْحَيَوَانِ إِذَا طَابَا، وَأَخْبَثُهُ إِذَا خَبُثَا .

(١) رواه البخاري برقم (٦٨٠٧، ٦٤٧٤) ، وأحمد برقم (٢٢٣١٦) والترمذي برقم (٢٤٠٨) عن سهل ابن سعد – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – .
(٢) صحيح : أخرجه مسلم برقم (١٥٩٩) .
(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٧٤)

يقول الشاعر :

حفظ اللسان سلامة للرأس والصمت عز في جميع الناس

فاللسان أمره عجيب ، وخبره غريب فإن جُلَّ السيئات ، والذنوب ، والمعاصي من الألسنة .

فكم ينطلق اللسان في الغيبة والنميمة ؟! أو الاستهزاء والسخرية ، أو الكذب والخداع؟! أو اللغو والجدال ؟!! .

وكم قطعت من أرحام ، وتفرقت من قلوب ، وكم انتهكت من أعراض ، بسبب اللسان وعدم حفظه .

فعلينا عباد الله : أن نحفظ ألسنتنا عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه [فالسلامة لا يعدلها شيء] كما قال ذلك الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ ، فكم من الأدلة الدالة على حفظ اللسان، في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ .

يقول الله عَزَّوَجَلَّ في مدح أوليائه الصالحين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون: ٣] ،ويقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ : ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]، ويقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢] ، ويقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ : ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ [النور: ٢٤] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت** »(١) ، ويقول ﷺ : « **من صمت نجا** »(٢) .

(١) رواه البخاري رقم (٦١١٠) ومسلم رقم (٤٧) .
(٢) رواه الترمذي (٢٥٠١) وأحمد رقم (٦٤٨١) والبيهقي في الشعب (٤٩٨٣) قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٣٦٧ في صحيح الجامع .

وهذا عقبة ابن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يأتي إلى النبي ﷺ فيقول له ما النجاة قال : «**أملك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك** »[(١)] .

فالنجاة النجاة ـ يا عبد الله ـ بحفظ اللسان، ولزوم الصمت ، إلا من الخير فإنك لن تندم على الصمت بل سوف تندم على الكلام .

بل الصمت ، يكسبك وقارًا ، وبهاءً ، وكمالًا ، ويزيدك جمالًا إلى جمالك.

وقد كان نبينا ﷺ : طويل الصمت ، قليل الضحك .

من حفظ المرء للسانه: أن يوجهه لكل ما يخدم هذا الدين والذب عن حياضه .

فهذا حسان بن ثابت – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ – كان يحفظ الله بشعره وأدبه وقلمه وقصائده فحفظه الله ، كان يمدح الدعوة ويمدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، حتى يقول في بيت يسب مشركي قريش :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ... فليغلبن مغلب الغلاب [(٢)]

وكان – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ – يهجوهم فيقول :

هجوت محمدًا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء [(٣)]

وهكذا من قرأ سيرة الصحابة الكرام وجد أن ألسنتهم كانت في ذكر الجنة ، والجهاد ، والذب عن دين الله تعالى.

---

(١) رواه أحمد رقم (٧١٣٧٢) والترمذي رقم (٢٤٠٦) والطبراني في المعجم الكبير رقم (٨٥٣٦) ومسند ابن أبي شيبه (٧/ ١٠٣) وأبو نعيم (٢/ ٩) قال الألباني صحيح لغيره أنظر صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٧٤١) .

(٢)(جواهر الأدب)٩ ص (٧١٨)، زهر الأكم في الأمثال والحكم ـ (ج١/ ص ٣٣٦) .

(٣) انظر : صحيح مسلم حديث رقم (٢٤٩٠٠) .

من أجمل ما قيل في اللسان :

قال محمد بن واسع لمالك بن دينار : « يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم » [1] .

وقال يونس بن عبيد : ما من الناس أحد يكون منه لسان على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله .

وقال أبو عبيد الله كاتب المهدي : كُن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام ، إن البلاء موكل بالمنطق .

وقال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك ، فإنما جُعل لك أذنان اثنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تقوله .

وقال المهلب بن أبي صفره : لأن أرى لعقل الرجل فضلًا على لسانه أحبُ إليَّ من أن أرى للسانه فضلًا على عقله .

وسئل بعضهم كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال : هي أكثر من أن تحصى والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها وهي حفظ اللسان[2]» .

جنبنا الله معاصيه واستعملنا فيما يرضيه إنه جواد كريم .

(١) إحياء علوم الدين (ج٢/ ص٣١١) .
(٢) الكبائر- (ج١/ ص٤٦) .

ثلاثين قصة

من قصص حفظ السلف لألسنتهم [١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : موضحًا حال الكثيرين .. ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ من أكل الحرام والظلم والسرقة وشرب الخمر ، ومن النظر المحرم وغير ذلك ، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه ، حتى ترى ذلك الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة ، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالًا ، ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد ما بين المشرق والمغرب ، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ، ولا يبالي ما يقول .

١- كان إبراهيم النخعي : إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية : قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي له ليس هاهنا كيلا يكون كذبًا .

٢- حُكي عن بعض الحكماء : رأى رجلًا يُكثر الكلام ويُقل السكوت ، فقال : إن الله تعالى ـ إنما خلق لك أذنين ولسانًا واحدًا ، ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به .

٣- روى الربيع بن صبيح : أن رجلًا قال للحسن : يا أبا سعيد إني أرى أمرًا أكرهه، قال : وما ذاك يا ابن أخي ، قال : أرى أقوامًا يحضرون مجلسك يحفظون عليك سقط كلامك ثم يحكونك ويعيبونك ، فقال : يا ابن أخي : لا يكبرون هذا عليك ، أخبرك بما هو أعجب ، قال : وما ذاك يا عم ؟ قال: أطعت نفسي في جوار الرحمن وملوك الجنان والنجاة من النيران ، ومرافقة

(١) المصدر : كتيب (أحصاه الله ونسوه) لعبدالمحسن القاسم .

الأنبياء ولم أطع نفسي في السمعة من الناس ، إنه لو سلم من الناس أحد لسلم منهم خالقهم الذي خلقهم ، فإذا لم يسلم من خلقهم فالمخلوق أجدر ألا يسلم .

٤- قال جبير بن عبد الله : شهدت وهب ابن منبه وجاءه رجل فقال : إن فلانًا يقع منك، فقال وهب : أما وجد الشيطان أحدًا يستخف به غيرك ؟ فما كان بأسرع من أن جاء الرجل ، فرفع مجلسه وأكرمه .

٥- عن حاتم الأصم قال : لو أن صاحب خير جلس إليك لكنت تتحرز منه ، وكلامك يُعرض على الله فلا تتحرز منه .

٦ـ حدث أبو حيان التميمي عن أبيه قال : رأيت ابنة الربيع بن خثيم أتته فقالت : يا أبتاه ، أذهب ألعب ؟ قال : يا بنيتي ، إذهبي قولي خيرًا .

٧ـ اغتاب رجل عند معروف الكرخي فقال له : اذكر القطن إذا وُضع على عينيك.

٨ـ قال رجل لعمرو بن عبيد : إن الأسواري ما زال يذكرك في قصصه بشر ، فقال له عمرو : يا هذا ، ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ، ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره ، ولكن أعلمه أن الموت يعُمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا ، ـ والله تعالى ـ يحكم بيننا وهو خير الحاكمين .

٩ـ قيل للمعافي بن معران : ما ترى في الرجل يُقرض الشعر ويقوله ؟ قال : هو عمرك فأفنه بما شئت !!

١٠ـ عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال : ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا ويكتب عليه حتى أنينه في مرضه ، فلما مرض الإمام أحمد فقيل له : إن طاووسًا كان يكره أنين المرض ، فتركه .

١١ـ قال عمر بن عبدالعزيز: من علم أن كلامه من عَمَلِهِ ، قل كلامه إلا فيما يعنيه.

١٢ـ قال الحسن بن صالح : فتشنا الورع فلم نجده في شيء أقل منه في اللسان.

١٣ـ كان عبد الله الخيار يقول في مجلسه : اللهم سلمنا ، وسلم المؤمنين منا .

١٤ـ قال بعض السلف : يُعرض على ابن آدم ساعات عمره ، فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسرات ..

١٥ـ قال الحسن ابن بشار : منذ ثلاثين سَنَة ما تكلمت بكلمة أحتاج أن أعتذر منها.

١٦ـ قال بشر بن منصور : كنا عند أيوب السختياني فغلطنا وتكلمنا ، فقال لنا : كفوا.. لو أردت أن أخبركم بكل شيء تكلمت به اليوم لفعلت .

١٧ـ وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكره خط دائرة وقال للجارية : ضعي الأصبع فيها وقولي ليس هاهنا .

وهذا في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا ، لأن هذا تفهيم الكذب وإن لم يكن اللفظ كذبًا فهو مكروه على الجملة .

١٨ـ قال رجل للفضيل ابن عياض : إن فلانًا يغتابني ، قال : قد جلب لك الخير جلبًا .

١٩ـ قال عبدالرحمن بن مهدي : لولا أني أكره أن يُعصى الله تمنيت ألا يبقى في هذا العصر أحدٌ إلا وقع فيّ واغتابني فأي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم يعملها ولم يعلم بها .

٢٠ـ قال رجل لبكر بن محمد : بلغني أنك تقع فيّ ، قال أنت إذا أكرم عليَّ من نفسي.

٢١ـ رُؤي بعض الأكابر من أهل العلم في النوم فسُئل عن حاله ، فقال : أنا موقوف على كلمه قلتها ، قلتُ : ما أحوج الناس إلى غيث ، فقيل لي : وما

يدريك؟ أنا أعلم بمصلحة عبادي .

٢٢ـ قال عبد الله بن محمد بن زياد : كنت عند أحمد بن حنبل فقال له رجل : يا أبا عبد الله قد اغتبتك ، فاجعلني في حل ، قال : أنت في حل إن لم تعد ، فقلت له : أتجعله في خل يا ابا عبد الله وقد اغتابك؟ ، قال : ألم ترني أشترطت عليه.

٢٣ـ وجاء ابن سيرين أناسٌ فقالوا : إنا نلنا منك فاجعلنا في حل ، قال : لا أحل لكم شيئًا حرمه الله . فكأنه أشار إليه بالاستغفار ، والتوبة إلى الله مع استحلاله منه .

٢٤ـ قال طوق بن منبه : دخلت على محمد بن سيرين فقال : كأني أراك شاكيًا ؟ قلت : أجل ، قال : اذهب إلى فلان الطبيب فاستوصفه ثم قال : اذهب إلى فلان فإنه أطب منه، ثم قال : استغفر الله أراني قد اغتبته.

٢٥ـ روي عن الحسن أن رجلًا قال : إن فلانًا قد اغتابك ، فبعث إليه طبقًا من الرطب، وقال : بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك ، فأردت أن أكافئك عليها، فاعذرني ، فإني لا اقدر أن أكافئك بها على التمام .

٢٦ـ وذكر عن أبي أمامة الباهلي ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ أنه قال : إن العبد ليُعطي كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن قد عملها ، فيقول يا رب : من أين لي هذا ؟ فيقول : هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر .

٢٧ـ قيل لبعض الحكماء: ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ﷺ ولا تتبين في يومنا هذا ؟ .

قال : لأن الغيبة قد كثرت في يومنا ، فامتلأت الأنوف منها ، فلم تتبين الرائحة وهي النتن ، ويكون مثال هذا ، مثال رجل دخل الدباغين ، لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة ، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام ويشربون الشراب ولا تتبين لهم الرائحة، لأنهم قد امتلأت أنوفهم منها ، كذلك أمر

الغيبة في يومنا هذا.

٢٨ـ قال عبد الله بن المبارك : قلت لسفيان الثوري : يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ، ما سمعته يغتاب عدوًا له قط ، فقال : هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يُذهبها .

٢٩ـ روي عن عمر بن عبدالعزيز أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئًا، فقال له عمر : إن شئت نظرنا في أمرك ،فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦] ، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القلم: ١١] ، وإن شئت عفونا عنك ؟ فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبدًا.

٣٠ـ قال رجل لعبد الله بن عمر ـ وكان أميرًا ـ بلغني أن فلانًا أعلم الأمير أني ذكرته بسوء، قال : قد كان ذلك ، قال فأخبرني بما قال حتى أظهر كذبه عندك؟، قال : ما أحب أن أشتم نفسي بلساني ، وحسبي أني لم أصدقه فيما قال، ولا أقطع عنك الوصال .

5

المطلب الخامس

حفظ البصر

من حفظ العبد لربه أن يحفظ بصره بأن لا يصرفه إلى الحرام ، وأن يوجهه لطاعة مولاه وخالقه ، والنظر في ملكوت السموات والأرض ، والتفكر بما فيهما من الآيات العظيمة، قال تعالى :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١] .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾

[الغاشية: ١٧ – ٢٠].

ولله در من قال : (١)

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثـــار ما صنع المليك
عيـــون من لجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك
على قضيب الزبرجد شاهدات ... بـــأن الله ليس له شريـك (٢)

ومن حفظ البصر: أن تحفظه في جارحة النظر ، فلا تقلب بصرك فيما حرَّم الله ، ولا تتبَّع به عورة عبد مسلم، فإنه من تتبع عورة عبد مسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في قعر داره! .

(١) سئل ابو نواس عن وجود الصانع فأنشد هذه الأبيات .
(٢) انظر تاريخ دمشق : (١٣/ ٤٦٥) ، وشرح قصيدة ابن القيم : (١/ ١٨) وغيرهم من المراجع .

ولا تنظر به إلى امرأة لا تحلَّ لك من أولئك النساء المتبرجات اللائي نزعن الحياء وكشفن الغطاء ، وعرَّين أجسادهنَّ كلها أو بعضها ، وأصبحن مبتذلات لكلِّ ناظر ، ومطمعًا لكلِّ فاجر ، فهنَّ كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة ، لا يدخلن الجنَّة ولا يجدن ريحها .

كما أخبرنا بذلك نبينا ﷺ .

فلا تتبع النظرة النظرة ، فإنَّ لك الأولى وليست لك الثانية ، فالنظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، ومن غض طرفه عن الحرام أبدله الله إيمانًا يجد حلاوته في صدره ، قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور: ٣٠].

فعلى المؤمن أن يصرف بصره عن المحرمات، عن النساء، عن الصور الخليعة، وليحذر كل الحذر، فرب نظرة أودت بصاحبها ، ورب نظرة أعقبها حزن وحسرة .... .

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الغير محفوف على الخطر
يسرَّ ناظره ما ضرَّ خاطره ... لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

فإذا حفظ المسلم بصره ولم يصرفه إلى الحرام ، بل وجهه لطاعة مولاه وخالقه فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحفظه ويتولاه ، وكفى بحفظه وتوليه نعمة وعطية .

6

المطلب السادس

حفظ الفرج

ومما يجب حفظه من المنهيات : حفظ الفرج . وفي حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي ﷺ قال : «**من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** »[1] .

وقد أمر الله تعالى بحفظ الفروج خاصة، ومدح الحافظين لها، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]، وقال تعالى : ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقد روى عن أبي إدريس الخولاني : « أن أول ما وصَّى اللهُ آدمَ عندَ إهباطه إلى الأرضِ بحفظِ فرجِه، وأن لا يضعَهُ إلا في حلالٍ »[2] .

(١) البخاري (٦١٠٩، ٦٤٢٢) وأحمد (٢٢٨٧٤) والترمذي (٢٤٠٨) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) انظر : تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٣١٠) .

٦٤

1

الباب الرابع

حفظ الله للعبد

إن حفظ الله عَزَّوَجَلَّ لأوليائه وعباده الصالحين ، في الدنيا ، له صور ، وأنواع متنوعة ، لا يمكن لأحد حصرها أو عدها .

كـــم نطلب الله في ضير يحل بنا   فإن تـــوالت بلايانا نسيناه
ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا   فإن رجعنا إلى الشاطئ عصيناه
ونــركب الجو في أمن وفي دعةٍ   فـما سقطنا لأن الحـافـظ الله

وقد قسمنا هذا الباب إلى فصلين :

الفصل الأول - حفظ الله لأنبيائه.

الفصل الثاني - حفظ الله للعبد، وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول - حفظ الله للعبد في جوارحه .

المحث الثاني - حفظ الله للعبد في نفسه .

المبحث الثالث - حفظ الله للعبد في أولاده .

المبحث الرابع - حفظ الله للعبد في ماله .

المبحث الخامس - حفظ الله للعبد في دينه .

المبحث السادس - حفظ الله للعبد عند موته .

1

الفصل الأول

حفظ الله لأنبياءه

اقتضت حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعل أنبياءه ورسله بشرًا كغيرهم، لكن الله اختصهم وميزهم بأمور وصفات تتطلبها الرسالة وتقتضيها النبوة، ليكونوا على تمام الاستعداد لِتلقي وحيه، فهم معصومون من الأدناس قبل النبوة وبعدها، أمّا قبل النبوة فليتأهّلوا للأمر العظيم الذي سيوحَى به إليهم، وأمّا بعدها فليكونوا قدوة لأممهم.

ومن أمثلة حفظ الله لأنبياءه :

نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : عندما أرسل الله الطوفان على قومه ، حفظه الله تعالى بأن أوحى إليه أن يصنع السفينة وأمره أن يركب بها هو ومن أمن به .

وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : عندما ألقاه قومه في النار ،حفظه الله تعالى بأن أمر الله النار أن تكون بردًا وسلامًا .

وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : عندما تبعه فرعون والبحر أمامه ، حفظه الله تعاليفأمر الله البحر أن ينفلق وينطبق على فرعون وجنوده .

وعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :عندما أراد اليهود قتله،حفظه الله تعالى بأن رفعه الله إليه .

ويونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : عندما التقمه الحوت ، حفظه الله ونجاه الله وأخرجه من بطن الحوت .

ولوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : عندما أتاه قومه يريدون الإعتداء على ضيوفه ، نجاه الله بحفظ الملائكة له منهم .

قصة / إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

هو خليل الله ، اصطفاه الله برسالته وفضله على كثير من خلقه .

نشأ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعيش في قوم يعبدون الكواكب والنجوم ، والأصنام والتماثيل ، حتى إن والده آزر كان واحدًا ممن يصنع تلك التماثيل ، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ الحافظ عصم نبيه وحفظه منذ صغره وجعله يدرك بفطرته السليمة بطلان تلك الآلهة المزعومة فلم يكن يرضيه ذلك، وأحس بفطرته أن هناك إلها أعظم حتى هداه الله واصطفاه برسالته ، ولما بعثه الله عَزَّوَجَلَّ بدأ دعوته لأبيه بأن يترك تلك الأصنام ولكن بدون فائدة ، وأخذ إبراهيم يدعو قومه لوحدانية الله ، وعبادته ، ولكنهم كذبوه وحاولوا إحراقه ، فانتقل بعدها إلى إقامة الحجة على قومه وقد سجل القرآن الكريم حواره معهم في أكثر من موضع ولكن لم تنفع معهم لغة الحوار .

فأقسم بالله أن يكيد أصنامهم ، ويحطمها ولكنهم لم يتوقعوا منه ذلك على الحقيقة ، فلما ذهبوا إلى عيدهم في خارج البلد عمد إليها فحطمها ، كما قال تعالى :﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الصافات: ٩٣] ، وقوله : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٨]، فلما رجعوا من عيدهم وجدوا ما حل بمعبوداتهم : ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٩] .

وفي هذا دليل على غياب عقولهم لأنها لو كانت آلهة لدافعت عن نفسها، فأمروا به أن يحضر على رؤوس الأشهاد ، ولم يعلموا أن هـذا كان مقصده

-عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - أن يجتمع الناس كلهم فيقيم عليهم الحجة على بطلان ما هم عليه: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣ ﴾[الأنبياء: ٦٢- ٦٣]، أراد توبيخهم وتقريعهم ، فاعترفوا بخفة عقولهم ، وعجز آلهتهم ، كما وصفهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله :﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٥] ، وقالوا : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥ ﴾ فقال : لهم بلسان الحال والمقال إذًا كيف تعبدون من لا ينفع نفسه ويدفع عنها الأذى فضلًا أن ينفع غيره .

فلما انقطعوا وغلبوا لم تبق لهم حجة ، ولا شبه إلا استعمال قوتهم ، وبطشهم هذا دأب الجبارين في كل زمان ومكان ، فأمروا بجمع الحطب لإحراق نبي الله وخليله ، ومكثوا على ذلك مدة حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبًا لحرق إبراهيم !! فلما جمعوا الحطب الكثير وأضرموا فيه النار تأججت وعلاها شرر لم يرى مثله ووضعوا إبراهيم - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - في كفة منجنيق مقيدًا مكتوفًا ، وألقوه إلى تلك النار ، فكان أن قال :﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] .

وقد وردت روايات كثيرة تذكر ما كان من أمر الملائكة في هذه اللحظات الحاسمة بأن عرضوا عليه الحاجات ، ولكن أمر الله ، وحفظه ، ولطفه بنبيه كان أسرع إليه : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

فمع طول المدة التي مكثها في النار على أنها لم تحرق سوى وثاقه ، حفظ الله فحفظه ؛ ووضع قومه ولم يرتفعوا، وخذلوا ولم ينتصروا، وخسروا وخابوا ولم يغلبوا، قال تعالى :﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ ﴾ [الأنبياء: ٧٠] . ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ ﴾ [يوسف: ٢١].

قصة / يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه عن قصة نبينا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنها أحسن القصص وكان نزولها على قلب نبينا عليه الصلاة والسلام في الفترة الحرجة التي تلت عام الحزن تثبيتًا له ولأصحابه وذلك لأن هذا النبي الكريم عانى صنوفًا من المحن والفتن .

فكيد الإخوة وهذا شديد على النفس كما قيل :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

ومحنة الإلقاء في الجب .

ومحنة الرق والبيع بثمن بخس .

ومحنة كيد امراة العزيز ، والنسوة التي معها .

وبعهدها فتنة السجن .

وكان آخرها فتنة الرخاء والسلطان المطلق ، فإنها وإن كانت في الظاهر نعمة وملك ورياسة وسلطان إلا أنها من البلايا العظيمة كما قيل :

قد ينعم بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فيا لله ما أعظم صبر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ على كل هذه المحن والابتلاءات ، ولكن الأعظم من ذلك هو حفظ الله لهذا العبد الذي لازم في كل محنة وبلية فحفظ جسده وعقله ودينه ودنياه وظاهر القرآن ينبيك عن ذلك .

تُعدُّ قصة يوسف في القرآن الكريم نموذجًا من قصص المرسلين. فيها عبرة لمن يعقل، وفيها تصديق ما جاءت به الكتب المنزلة من قبل.

وقد وردت القصة في القرآن الكريم في سورة كاملة، وذُكر اسم يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن الكريم ستًا وعشرين مرة، منها أربعًا وعشرين في سورة يوسف. وكان نزول هذه السورة على النبي ﷺ قبل هجرته من مكة إلى المدينة.

قال النسفي : « إن كفار مكة لقي بعضهم اليهود، وتباحثوا في ذكر محمد ﷺ فقال لهم اليهود: سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ ، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ : « **إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيم ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ، يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ** » [(١)] .

حاصل القصة :

كان لـ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أحد عشر أخًا، وكان أبوه يحبه كثيرًا. وذات ليلة رأى يوسف في منامه أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، فقص على والده رؤياه، فنصحه بألا يقص الرؤيا على إخوته؛ مخافة أن يحسدوه ، ووسوس الشيطان لإخوته، فاتفقوا على أن يلقوه في بئر عميق ، وادعوا أن الذئب أكله ، ثم وجده ناس من التجار، فأخذوه وباعوه بثمن بخس، واشتراه عزيز مصر ، وطلب من زوجته أن ترعاه. وكبر يوسف .

أخذت امرأة العزيز تراوده عن نفسه، فأبى فكادت له، ودخل السجن، ثم أظهر الله براءته، وخرج من السجن بعد ذلك، واستعمله الملك على اقتصاد مصر، حيث أحسن إدارته في سنوات القحط ، ثم اجتمع شمله مع إخوته ووالديه وتحققت رؤياه.

(١) أخرجه البخاري : في كتاب (أحاديث الأنبياء) بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾ [يوسف: ٧] حديث رقم: ٣٣٨٢ .

تفاصيل القصة :

كان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يحظى بحب كبير من أبيه يعقوب، وقد لاحظ إخوته مكانة يوسف عند أبيه، فجعلت الغيرة تعتصر قلوبهم، والحسد يكشر عن أنيابه! تبدأ القصة بإخبار يوسف والده أنه رأى في المنام أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له، فطلب يعقوب من ولده ألا يقص رؤياه على إخوته؛ إذ إن ذلك سيجعلهم يزدادون حسدًا له، وحقدًا عليه، وغيرة منه.بيد أن خبر الرؤيا وصل إلى هؤلاء الأخوة الحساد، فخلا بعضهم، وتناقشوا فيما بينهم فيما هم فاعلون، وأجمعوا أمرهم على أن يأخذوا يوسف ويلقوه في بئر عميق؛ ليطفئوا نار الغيرة التي تشتعل في صدروهم.

وبعد أخذ ورد مع والدهم، وافق الوالد الحنون على إرسال يوسف مع إخوته لقضاء بعض الوقت في اللعب واللهو.

وبالفعل خرج الإخوة بـ يوسف إلى مكان بعيد، وقد عقدوا العزم على تنفيذ خطتهم، ثم وصلوا إلى مكان فيه بئر عميق، فألقوا فيه أخاهم من غير شفقة ولا رحمة، ثم عادوا أدراجهم، وقد حملوا قميص يوسف معهم، ولوثوه ببعض الدماء؛ ليخفوا حقيقة ما جرى، ويدعوا أن ذئبًا ضاريًا شاردًا هاجم أخاهم على حين غفلة منهم، فأكله! .

وما إن سمع يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقصة حتى شعر أن ثمة أمرًا قد دُبِّر، ولكن ماذا عساه أن يفعل، والأدلة بين يديه لا تقوى على إدانة مرتكب الجريمة. فسلَّم أمره إلى الله، طالبًا منه الصبر على هذا المصاب الجلل .

ثم ينتقل المشهد القرآني ليخبرنا عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد أصبح في أسفل البئر، وبينما هو على هذه الحالة، إذ بقافلة من قوافل التجار تمر من هنا، ثم تنزل

قرب البئر قاصدة الاستراحة والتزود بالماء والطعام، وما إن يلقي بعض رجال القافلة حبل السقاية في البئر طلبًا للماء، حتى يتبين لهم أن ثمة غلامًا في البئر، فيفرح بذلك فرحًا شديدًا، ويُخبر رفاقه بهذا البضاعة التي كسبها من غير تقدير ولا تدبير.

ثم إن تجار القافلة يستقر رأيهم على بيع ما وجدوه، ومن ثم يعرضونه للبيع لبعض المارة، فيشتريه بثمن زهيد! ويبدو أن الذي اشتراه كان صاحب جاه ومنصب ومكانة، وكان قبل ذلك صاحب توفيق؛ إذ أن شراءه لهذا الغلام سوف يجلب له الخير في قابل الأيام.

واستقر المُقَام بـ يوسف في بيت عزيز مصر، وفي هذا البيت الرفيع كانت لـ يوسف قصة، وأي قصة! .

تقول القصة: إن زوجة العزيز قد فُتنت بجمال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فطلبت منه -بعد مقدمات وممهدات- فعل الفاحشة معها! ويا لهول هذا الطلب! كان رد يوسف على طلبها بالرفض القاطع، وطلب الإعانة من الله للخلاص من هذه الفتنة التي حلت به من غير سابق إنذار.

بيد أن المرأة المفتونة -وقد انسلخت من حيائها تمامًا، وانساقت وراء شهوتها- أصرت على يوسف أن يفعل الفاحشة معها، وفي تلك الأثناء -والحال بين شد وجذب، وطلب ورفض- إذا بالباب يُفتح، وخلفه العزيز، وإذا بالثلاثة وجهًا لوجه: يوسف يسعى ويركض نحو الباب للتخلص من براثن الفتنة، والزوجة لاهثة وراء قضاء شهوتها، والزوج يريد أن يعرف ماذا يجري داخل قصره!؟ ورغم هذا الموقف الحرج، فقد بادرت الزوجة بتوجيه التهمة إلى النزيل الجديد في القصر، وطلبت من زوجها أن يودع هذا النـزيل السجن، أو ينزل به أشد

العقاب؛ جراء محاولته تدنيس عرض سيد القصر، وعزيز مصر- بزعمها !
وأمام هذا الاتهام الصريح من المرأة لـيوسف، مع أنها رأس هذه الفتنة، لم يجد يوسف بدًا من الدفاع عن نفسه بالحق، وقد دافعت هي عن نفسها بالباطل. ومن أجل أن يعرف العزيز حقيقة ما جرى، طلب من بعض أعوانه، أن يتبين من أي جهة تمزق قميص يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبعد التحري والتحقق تبين أن قميص يوسف قد تمزق من الخلف، ما يعني أنه كان بصدد الفرار من الفتنة، إلا أن الفتنة لاحقته، وأمسكت بقميصه ما أدى إلى تمزيقه، فكان هذا دليلًا كافيًا على براءة يوسف من هذه الفتنة التي كيدت له. ثم إن امرأة العزيز تصبح هي وفعلتها حديث الطبقة العليا من نساء مجتمعها. وتسمع المرأة بما يدور على ألسنة النساء من هنا وهناك...إنه حديث يدور هامسًا خافتًا...وإذن، فلتتدبر الأمر قبل أن يستفحل، ولتعمل بكل ما تملك من حول وطول لإطفاء نيران هذه الفتنة التي أخذ شررها يتطاير في كل مكان، وهي زوجة سيد مصر! .

وكان من تدبيرها وحيلتها، أن دعت النساء إلى حفلة ذات طعام وشراب، وقدمت لهن ما لذَّ وطاب، وكان من جملة ما قدمت لهن فاكهة تسر الناظرين، وقدمت مع كل طبق فاكهة سكينًا لقطعها على عادة كبراء القوم، وفي أثناء انشغال النسوة بتقطيع ما بين أيديهن من فاكهة، طلبت المرأة من يوسف الدخول على تلك النسوة، فما أن رأين يوسف حتى بهرن بجماله، ولم يشعرن إلا وهن يقطعن أصابعهن بالسكاكين ...وإذا بامرأة العزيز تبوح بمكنون صدرها ولواعج قلبها، وتهدد يوسف وتتوعده، بأنه إذا لم يفعل الفاحشة معها، فإن مصيره إلى السجن؛ ليذوق وبال صده، وينال عاقبة امتناعه، وليكون ذليلًا صاغرًا. ولا يجد يوسف أمام هذا السلطان القاهر المتحدي إلا أن يفزع إلى ربه،

متضرعًا إليه؛ أن يصرف عنه السوء الذي أحاط به، ويبعد عنه شبح الفتنة التي تحاصره من كل جانب.

وقد استجاب الله دعاء يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فصرف عنه كيد تلك المرأة ومن ناصرها من بنات قومها.

ثم آل به إلى الأمر أن يدخل السجن، وليكون له فيه أيضًا قصة أخرى. دخل يوسف السجن -على ما فيه- مُؤْثِرًا إياه على فعل ما لا يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكان السجن هو الحصن الذي احتمى فيه يوسف من الفتنة ودواعيها، ثم كان فيه ما كان. كان هذا السجن -وكل محنة تحمل في طياتها منحة- هو الطريق الذي سلك بـ يوسف إلى المُلك، الذي أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يضعه بين يديه، وأن يجعله خاتمة لهذه الرحلة الشاقة على أشواك الابتلاء. يقيم يوسف في السجن مع رفاق سجنه، وسرعان ما يكسب حب رفقائه له، وينال ثقتهم؛ بما تجلى لهم من سمو أخلاقه، وعلو نفسه، وسداد رأيه، ونفاذ بصيرته. ثم ها هو ذا يصبح المرجع في تفسير الأحلام التي يراها أهل السجن -وما أكثر ما يرى السجناء من أحلام- وذات يوم يسأله شابان من رفاق السجن عن رؤيا رأياها...كان أحدهما قد رأى في المنام أنه يعصر عنبًا، ليصنع منه خمرًا، وأما الآخر فكان قد رأى أنه يحمل خبزًا فوق رأسه، والطير تأكل منه. فوجد يوسف من حسن ظنهما فيه مُنْطَلَقًا إلى أمر هو أعظم وأنفع لهما من تأويل رؤياهما، وهو دعوتهما إلى الله الواحد القهار.

فبدأ يبين لهما وحدانية الله، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الإله الذي يستحق العبادة دون سواه من الآلهة، التي لا تملك من أمرها شيئًا.

وبعد أن أوصل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ رسالته الدعوية لهذين الشابين، أخذ في

تأويل رؤيا كل واحد منهما، فأخبر الأول أنه سوف يسقي الخمر لسيده، وأخبر الثاني أنه سوف يصلب، والطير تأكل من رأسه.

وأنهى تأويله لهما بقوله: إن كلا الأمرين قضاء من الله حاصل، لا مرد له ولا دافع. ثم أقبل يوسف على الشاب الذي توقع له النجاة، وطلب منه أن يلتمس له من سيده -عزيز مصر- فك أسره، وإطلاق سراحه.

ثم يخرج الشاب من سجنه، وينشغل بأمور حياته، ويقابل سيده، ويقدم له الخمر، إلا أنه ينسى أن يبلغه رسالة يوسف التي حمَّله إياه إليه.

وكان من أمر ملك مصر أن رأى رؤيا شغلت باله، وأقضت عليه مضجعه، ولم يجد بين صفوف حاشيته من يؤولها له.

وبينما الحال كذلك،إذا بصاحب يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي نجا من السجن يتذكر يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فينطلق إليه مسرعًا، ويسأل يوسف عن تأويل رؤيا الملك، ثم يعود إلى الملك كالسهم، ويلقي بين يديه تأويل ما رآه، ويقع ذلك التأويل من الملك موقعًا حسنًا، وعندها يهتف الملك بمن حوله طالبًا منهم إحضار يوسف؛ ليكون إلى جانبه مستشارًا، ومعاونًا له في إدارة شؤون مصر.

بَيْد أن يوسف يأبى أن يستجيب لدعوة الملك، ولم تشغله فرحة الخروج من هذا القبر، الذي أطبق عليه تلك السنين الطويلة...عن أن يطلب التحقيق في أمر سجنه ، ومن ثم يطلب من الملك أن يحقق في هذا الأمر؛ ليعيد له الاعتبار، ويُعْرَفُ صاحب الحق من الباطل.

وها هن النسوة يمثلن في مجلس الملك؛ لكشف النقاب عن ملابسات اعتقال يوسف، ويسألهن الملك عن هذا الحدث الذي كان بينهن وبين زوجته...

ولا يسع الزوجة إزاء هذا الموقف إلا الاعتراف بحقيقة ما جرى، ومن ثم تخبر زوجها أنها هي التي طلبت من يوسف فعل الفاحشة معها! وقابل طلبها بالرفض والامتناع.

وتشتد رغبة الملك -وقد قامت الأدلة على براءة يوسف وعفته ومروءته- في لقاء يوسف، ويقع من نفسه موقعًا متمكنًا؛ إذ رأى فيه الرجل الذي يجد عنده سداد الرأي، وصدق النصح، وحسن التدبير ما يقيم ملكه على دعائم قوية. وهكذا كان يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى جانب الملك يشرف له على موارد الدولة الاقتصادية، ويدبر له صادرها وواردها.

مضى الزمان يطوي الليالي والأيام، و يوسف يدير اقتصاد مصر ويدبره، ووقعت مجاعة في أرض كنعان التي كان يعيش فيها يعقوب وأبناؤه.

وكانت مصر بفضل تدبير يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد أعدت لهذا الأمر عدته؛ فادخرت كثيرًا مما زرعت وحصدت، وبهذا أصبحت مصر في تلك الأيام المجدبة محط رحال الوافدين إليها، يطلبون الزاد والغذاء .

وقصد إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مصر طلبًا للتزود بالطعام، وشاءت الأقدار أن يجتمعوا بأخيهم يوسف من غير أن يعرفوه، بيد أنهم أخبروه أنهم أولاد يعقوب.

ومنذ اللحظة التي رأى فيها يوسف إخوته، أخذ يدبر أمرًا بينه وبينهم.

وها هم أولاء يطلبون منه التزود بالطعام، وها هو ذا يرفض تزويدهم بالطعام إلا بعد أن يأتوا بأخ لهم من أبيهم؛ ليكون ذلك دليلًا على صدقهم فيما قالوه من أنهم أبناء يعقوب.

ويعود الأبناء إلى أبيهم، وما يكادون يلتقون به حتى يخبروه بأنهم منعوا

من التزود بالطعام إلى أن يأتوا بأخ لهم..

ولم يجد يعقوب بدًا من التسليم بالأمر الواقع، فسمح لهم باصطحاب أخيهم معهم، وأخذ عليهم عهدًا بأن يأتوه به، ولا يضيعوه كما ضيعوا أخاهم من قبل!.

وقبل أن تتجه القافلة تلقاء مصر ثانية، نصحهم أبوهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد، بل يدخلوها من عدة أبواب؛ مخافة أن يحسدهم الناس؛ إذ كانوا على درجة من الجمال.

ويصل الركب ثانية إلى مصر، ويلتقي يوسف بأخيه، ويخلو به، ويضمه إليه، ويخبره أنه أخوه. وكان يوسف قد دبَّر حيلة لإبقاء أخيه إلى جانبه، فأمر بعض أعوانه أن يضع مكيال الطعام ضمن أمتعة أخيهم من غير أن يشعر أحد منهم بذلك، وسار الأمر وفق ما خُطط له، وقبل أن تنطلق القافلة برحلة العودة، إذا بمنادي الملك يخبر القافلة بأن مكيالًا قد سُرِق، وأنه لن يُسمح بالمغادرة للقافلة إلا بعد أن يتم تفتيش متاع القافلة، ومعرفة السارق. وبدأت عملية تفتيش الأمتعة، ثم استخراج المكيال المسروق من متاع الأخ، وما أن رأى إخوة يوسف استخراج المكيال من متاعه حتى أُسقط في أيديهم، ورجوا يوسف أن يأخذ أي واحد منهم، ويطلق سراح أخيهم؛ لأن أباه لا يتحمل فقده. وجاء الجواب بالرفض القاطع.

وعاد الركب بالطعام وتركوا خلفهم أخاهم، وهم حائرون في أمرهم، كيف سيكون موقفهم من أبيهم؟ وماذا سيقولون له؟ وهل سيصدقهم هذه المرة ؟ علم يعقوب بما حدث، ولم يجد أمامه إلا الصبر على هذا المكروه، والاستسلام لأمر الله، والرجاء في رحمته وإحسانه.

لقد نكأ هذا الجرح الجديد جرحًا قديمًا، كان غائرًا في أعماق نفسه بسبب فَقْدِهِ لـيوسف، وها هو اليوم يفقد ابنه الثاني.

ويمضي يعقوب في موقفه هذا مع ربه، وشكاته إليه، والوقوف بباب فضله، غير يائس أبدًا من فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم يتوجه إلى بنيه طالبًا منهم البحث عن يوسف وأخيه، وحاثًا إياهم على عدم اليأس من فضل الله ورحمته، فلم يسعِ الأبناء إلا الاستجابة لطلب أبيهم، فأعدوا العدة، ويمموا وجههم ثالثة إلى مصر للبحث عن يوسف وأخيه.

وها هم الإخوة بين يدي يوسف، يرجونه ثانية أن يطلق سراح أخيهم...

فيرى يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما أصاب أهله من ضرٍّ، وما حلَّ بهم من ضيق، فيرق لحالهم، ثم يسألهم سؤال المعاتب: هل علمتم ما فعلتم بـيوسف عندما كان صغيرًا؟ فيتعجب الإخوة من هذا السؤال، ويستفسرون منه إن كان هو نفسه يوسف، فيأتي الجواب بالإيجاب. وهنا يشعر الإخوة بالندم على ما كان منهم، وأنهم كانوا على طريق ضال في الكيد الذي كادوه له.

ويطوي يوسف سريعًا صفحة الماضي الأسود، ويغطي على كل آثارها بالصفح الجميل، وطلب المغفرة على ما كان منهم. ثم يطلب يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من إخوته أن يحملوا قميصه، ويلقوه على وجه أبيهم؛ كي يرتد إليه بصره.

وينطلق الركب فرحين بما يحملونه من أخبار سارة يبثونها إلى أبيهم.

وما أن يشارفوا على الوصول حتى يخبر يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه يجد ريح يوسف ، ويدخل الأبناء على أبيهم، ويلقوا القميص على وجهه، فيعود إليه بصره بإذن الله.

ثم يخبروه بما جرى بينهم وبين أخيهم يوسف، ويطلبون منهم المسير معهم إليه ليلتئم شمل الأسرة. ويصل يعقوب وأبناؤه إلى مصر، ويدخلون على يوسف، وما أن يرى يوسف أباه بعد هذا الفراق الطويل حتى يقبِّله، ويرفعه على المكان المخصص لجلوسه احتفاء به، ثم يتوجه مناجيًا ربه، بالشكر والحمد له على ما أنعم عليه من نِعَم، وما أفاض عليه من عطاء، طالبًا منه أن يتوفاه على دين الإسلام، وأن يلحقه بعباد الله الصالحين.

ولما مات يعقوب أوصى إلى يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق ، ففعل يوسف ، فسار به إلى الشام فدفنه عند أبيه ، ثمّ عاد إلى مصر وأوصى يوسف أن يحمل من مصر ويدفن عند آبائه ، فحمله موسى لما خرج ببني إسرائيل.

يستفاد من قصة : يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

أن الحافظ هو الله، وأن المانع من السوء هو الله، والرقيب والحسيب هو الحي القيوم .

فيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما ألقي في الجب نسيٍ كل شيء إلا الله، فحفظه ورعاه وتولاه وأيده، وسدده وآواه وأصبح ملِكا على مصر، وآتاه النبوة وشرفه بالرسالة، ومنحه العلم والدعوة، وكذلك يحفظ الله من يحفظه: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤] .

قصة يونس - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -

إنها قصة عجيبة ، تدل على قدرة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،ولطفه بعباده وحفظه لأوليائه واتباعه ، ورحمته بعبده الذي أيقن بوجوده وتعرف على فضله وجوده .

كما أنها تدل على أن طاعة العبد لمولاه وخالقه يظهر أثرها في البر والبحر، والعكس ، فإن نبي الله يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما ذهب مغاضبًا بسبب قومه جوزي بالإلقاء في البحر والسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث .

وفي هذا درس لأصحاب الدعوات ! بأن يصبروا عليها، ويتحملوا أعباءها، ويؤدوا واجبهم نحوها في كل الظروف والأحوال ، والهدى هدى الله ، ولكن اعترافه بذنبه وتحقيق عبوديته وتنزيهه لربه وسيده كانت سببًا لحفظه ورجوعه ، وهذا ما حكاه ربه عنه في أكثر من موضع من كتابه ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

فتأمل كيف شقت كلماته السماوات السبع ووصلت إلى العرش واستجاب الله له في أحلك الظروف والأحوال ، فهذه قصة بل معجزة وآية تدل على قدرة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وأنه إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون .

فمخلوقاته جنود من جنده ، يعذب بها من يشاء ، ويرحم بها من يشاء ، فسبحانه مغير الأحوال ، وحافظ أتباعه في الحل والترحال ، والحمد الله على كل حال .

تفاصيل القصة :

قال أهل التفسير بعث الله يونس- عَلَيْهِ السَّلَامُ - إلى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم ، فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث .

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد من السلف والخلف : فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم تضرعوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وصرخوا وتضرعوا إليه، وتمسكنوا لديه، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، فرغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملانها، وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه، ودار على رؤسهم كقطع الليل المظلم، ولهذا قال تعالى :﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾ [يونس: ٩٨] ، أي هلا وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكاملها فدل على أنه لم يقع ذلك ، بل كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سبأ: ٣٤] .

وقوله:﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس: ٩٨] ، أي آمنوا بكاملهم [(١)].

---

(١) فائدة (الإمام ابن كثير في البداية والنهاية) : وقد اختلف المفسرون هل ينفعهم هذا الإيمان في الدار الآخرة فينقذهم من العذاب الأخروي كما أنقذهم من العذاب الدنيوي على قولين والله أعلم كما قال تعالى (لما آمنوا) وقال تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين) وهذا المتاع إلى حين لا يغني أن يكون معه غيره من رفع العذاب الأخروي والله أعلم . راجع / البداية والنهاية عند قصة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وقد كانوا مائة ألف لا محالة .

فلما ذهب مغاضبًا بسبب قومه ركب سفينة في البحر فلجت بهم واضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها وكادوا يغرقون على ما ذكره المفسرون قالوا فتشاوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتحفظوا منه .

فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس، فلم يسمحوا به فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضًا فشمر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه فأبوا عليه ذلك ، ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقعت عليه أيضًا لما يريده الله به من الأمر العظيم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الصافات:١٣٩ - ١٤٢]، وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة ألقي في البحر وبعث الله عَزَّوَجَلَّ حوتًا عظيمًا من البحر فالتقمه وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحمًا ولا يهشم له عظمًا فليس لك برزق فأخذه فطاف به البحار كلها وقيل : إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه .

قالوا : ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فإذا هو حي فخر لله ساجدًا وقال يا رب اتخذت لك مسجدًا لم يعبدك أحد في مثله ، ودعا ربه: ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٧].

ثم يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٨] ، أي : أخرجناه من بطن الحوت ، وتلك الظلمات.

وكذلك ننجي المؤمنين أي : إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء .

قال الحافظ ابن كثير:ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد وبعض أهل السُّنن عن ابن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أن رسول الله ﷺ قال لي : « **يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَات احْفَظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ** » (١) .

(١) مرجع القصة / البداية والنهاية (١/ ٢٦٧) وتفسير ابن كثير عند قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾الأنبياء٨٧ الآيات .

قصة موسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -

من الأنبياء الذين حفظهم الله موسى - عليه الصلاة والسلام - فقد حفظه الله في صغره وطفولته كما حفظ في نبوته وكبره، فهو الذي قال الله عنه : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه: ٣٩]، أي: تطعم، وترفه، وتغذى، وتلبس بأحسن ما يكون بمرأى مني وذلك كله بحفظي وكلاءتي.

فانظر: إلى هذه العناية الإلهية بهذا النبي المبارك واحدًا من أولي العزم من الرسل.

كيف أنه تربى في بيت أكبر طاغية على مر الزمان، ادعى الربوبية بقوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات: ٢٤]، وادعى الألوهية بقوله لبني إسرائيل: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨]، ومع ذلك نشأ وتربى في بيته، وأكل من ماله، وأهدي له من نسائه وخدامه، ثم عاد داعية له إلى ربه وخالقه، فلما لم يقبل وقد كتبت شقاوته في الأزل فجمع السحرة على عجل وواعدهم بالمال والحلل، ولكن وعد الله لا يخلف فكتب عليهم الذلة والصغار، كما قال تعالى: ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٩].

ثم كان الإيمان منهم برب موسى وهارون، وأيد الله نبيه بالمعجزات الباهرات التي أعادت أولئك السحرة أتباعًا لموسى، ولازال فرعون في غيه، وعتوه، فتارة يريد أن يطلع بزعمه إلى إله موسى، وتارة يحكم عليهم بالتعذيب، ويتوعدهم بالنكال، وقتل الرجال، وفي نهاية المطاف قرر إخراج موسى

ومن معه من أرض مصر فطاردهم هو وجنوده وكادوا أن يلحقوا بموسى وقومه كما وصف الله عَزَّوَجَلَّ هذا المشهد بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء:٦١]، ولكن ثقته بربه وخالقه: ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾[الشعراء: ٦٢] .

فأمره الله أن يضرب البحر بعصاه التي فلقت البحر له ولقومه فمروا على آخرهم ونجاهم الله من كيد فرعون ، وحفظ نبيهم من العدو ، ومن الغرق في البحر ، كما حفظه وهو في طفولته ، وحيل بينه وبين أعدائه ولما توسط فرعون البحر أغرقه الله وجعل بدنه عظة وآية إلى قيام الساعة .

قصة حفظ الله لنبيه

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وحفظ الله لرسوله - عليه الصلاة والسلام - أزليّ أبديّ ..!

ومن خصائص النبي ﷺ أن الله تعالى تكفل بحفظه، وعصمته من أذى الكفار حيث إنه أطلعه على جميع مكائدهم ومؤامراتهم لقتله ﷺ ، فباءت جميعها بالفشل ، وخرج النبي ﷺ منها سالمًا منصورًا.

قال تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

[المائدة: ٦٧] .

قال ابن كثير: «أي بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظُك وناصرُك ومؤيدُك على أعدائك ومُظفِرُك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل إليك أحدُ منهم بسوء يؤذيك » (١) .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المائدة: ٦٧]، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ القُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ(٢)».

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٤٣).
(٢) رواه الترمذي ح (٣٠٤٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٢٤٨٩).

٨٦

صور من حفظ اللّه لنبيه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ومن حفظ الله لرسوله ﷺ حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها مع شدة العداوة والبغضة ونصب المحاربة له ليلًا ونهارًا،بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة .

فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيرًا في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك من الكفر هابوه واحترموه فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرًا، ثم قيض الله له الأنصار، فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة فلما صار إليها، منعوه من الأحمر والأسود، وكلما همَّ أحدٌ من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه .

كما كاد اليهود بالسحر، فحماه منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به، وحماه منه، وكهذا أشباه كثيرة جدًا يطول ذكرها.

وسوف نذكر بعضًا من القصص والأخبار التي تجلى فيها عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ ، وحفظه له، وحمايته من أذى الكفار، فمن ذلك:

حفظه ﷺ من كيد أبي جهل :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا** »[(١)] .

حفظه ﷺ من مشركي قريش :

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ الْمَلَأَ ، مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ ، فَتَعَاهَدُوا بِاللَّاتِ ، وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى : لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا ، قُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ ، قَالَ : فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَبْكِي حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا ، فَقَالَتْ : هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِكَ فِي الْحِجْرِ ، قَدْ تَعَاهَدُوا : أَنْ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ ، قَالَ : يَا بُنَيَّةُ أَدْنِي وَضُوءًا فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ ، قَالُوا : هُوَ هَذَا ، هُوَ هَذَا . فَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ ، وَعُقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ ، فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ ، وَلَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ رَجُلٌ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَامَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ ، فَحَصَبَهُمْ بِهَا ، وَقَالَ : « **شَاهَتِ**

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٠، ومسلم (٢٧٩٧) في صفات المنافقين: باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٠/ ٩٢، والطبري في «جامع البيان» ٣٠/ ٢٥٦، وأبو نعيم (١٥٨) ، والبيهقي ٢/ ٨٩، والبغوي في «معالم التنزيل» ٤/ ٥٠٧-٥٠٨ من طرق عن معتمر ابن سليمان، بهذا الإسناد. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٨/ ٥٦٥، وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

الْوُجُوهُ » قَالَ : فَمَا أَصَابَتْ رَجُلًا مِنْهُمْ حَصَاةٌ إِلاَّ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا[(١)]».

حفظه ﷺ من أعرابي أراد قتله :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَارِبَ خَصَفَةَ ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً ، فَجَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ : « اللَّهُ » ، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : « مَنْ يَمْنَعُكَ عَنِّي ؟» قَالَ : كُنْ خَيْرَ آخذ ، قَالَ : « اشْهَدْ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ » .قَالَ :لا ، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لا أُقَاتِلَكَ ، وَلا أَكُونُ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَرَجَعَ ، فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ»[(٢)] .

نهاية أبي جهل:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا

---

(١) رواه أحمد في المسند ح (٢٧٥٧) والحاكم في مستدركه (٣/ ١٧٠)، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري ٢٩١٣ في الجهاد: باب تفرّق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر، ومسلم ٤/ ١٧٨٦ في الفضائل: باب توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس، والنسائي في السير كما في «التحفة» ٢/ ١٨٨ من طريق إبراهيم بن سعد، بهذا الإسناد، وأخرجه أحمد ٣/ ٣١١، والبخاري ٢٩١٠ في الجهاد: باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، و٢٩١٣، ومسلم ٤/ ١٤، والنسائي في السير، والبيهقي في «السنن» ٦/ ٣١٩، وفي «الدلائل» ٣/ ٣٧٣ من طريق شعيب بن أبي حمزة، والبخاري ٤١٣٥ في المغازي: باب غزوة ذات الرِّقاع، من طرق محمد بن أبي عتيق، كلاهما عن الزهري، به. وفي حديث شعيب: عن الزهري، عن أبي سنان بن أبي سنان وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وأخرجه البخاري ٤١٣٩ في المغازي: باب غزوة بني المصطلق...، ومسلم ٤/ ١٣، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٧٤ من طريق معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن جابر، وأخرجه أحمد ٣/ ٣٦٤، ومسلم ٨٤٣ و٤/ ١٤، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٧٥ من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن جابر. وانظر ٢٨٨٢ و٢٨٨٣ و٢٨٨٤.

جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟» فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟» قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ»، وَقَضَى بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ (١)».

هلاك رجل كان يؤذي النبي ﷺ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ فَأَمَاتَهُ اللهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ (٢)».

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤١) و (٣٩٦٤)، ومسلم (١٧٥٢)، وأبو يعلى (٨٦٦)، والطحاوي ٣/ ٢٢٧ –٢٢٨، وابن حبان (٤٨٤٠)، والحاكم ٣/ ٤٢٥، والبيهقي ٦/ ٣٠٥ –٣٠٦ و٣٠٦ من طريق أبي سلمة، بهذا الإسناد، وأخرجه البزار (١٠١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٣) ح (٣٦١٧)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم رقم ٢٧٨١.

هلاك بعض المستهزئين :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر:٩٥] ، قَالَ: الْمُسْتَهْزِئُونَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيُّ، وَالأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، وَأَبُو زَمْعَةَ، مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْحَارِثُ بْنُ عَيْطَلٍ السَّهْمِيُّ، وَالْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَكَاهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَرَاهُ الْوَلِيدَ أَبَا عَمْرِو بْنَ الْمُغِيرَةِ، فَأَوْمَأَ جِبْرِيلُ إِلَى أَبْجَلِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: كُفِيتُهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الأَسْوَدَ بْنَ الْمُطَّلِبِ فَأَوْمَى جِبْرِيلُ إِلَى عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: كُفِيتُهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيَّ فَأَوْمَأَ إِلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ كُفِيتُهُ، وَمَرَّ بِهِ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ فَأَوْمَأَ إِلَى أَخْمَصِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: كُفِيتُهُ، فَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَهُوَ يَرِيشُ نَبْلًا لَهُ فَأَصَابَ أَبْجَلَهُ فَقَطَعَهَا، وَأَمَّا الأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ فَعَمِيَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: عَمِيَ هَكَذَا وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: نَزَلَ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِيَّ أَلَا تَدْفَعُونَ عَنِّي؟ قَدْ قُتِلْتُ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا نَرَى شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى عَمِيَتْ عَيْنَاهُ، وَأَمَّا الأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيُّ فَخَرَجَ فِي رَأْسِهِ قُرُوحٌ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ عَيْطَلٍ فَأَخَذَهُ الْمَاءُ الأَصْفَرُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى خَرَجَ خُرْؤُهُ مِنْ فِيهِ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ يَوْمًا إِذْ دَخَلَ فِي رَأْسِهِ شِبْرِقَةٌ حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْهَا فَمَاتَ مِنْهَا .

وَقَالَ غَيْرُهُ: فَرَكِبَ إِلَى الطَّائِفِ عَلَى حِمَارٍ فَرَبَضَ بِهِ عَلَى شِبْرِقَةٍ فَدَخَلَتْ فِي أَخْمَصِ قَدَمِهِ شَوْكَةٌ فَقَتَلَتْهُ(١)».

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٤) ح (١٧٧٣١).

حفظه الله من أذى امرأة أبي لهب :

عَن ابْنِ عَبَّاس قَالَ لَمَّا نَزَلَت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [المسد: ١]، جَاءَت امْرَأَةُ أَبِي لَهَب إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْر فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْر قَالَ: يَا رَسُول الله إِنَّهَا امْرَأَةٌ بَذِيئَةٌ وَأَخَافُ أَنْ تُؤْذِيَك فَلَوْ قُمْتَ قَالَ : « إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي »، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْر إِنَّ صاحبَكَ هَجَانِي قَالَ: لَا وَمَا يَقُولُ الشِّعر قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي مُصَدَّقٌ وَانْصَرَفَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ تَرَك؟! قَالَ: « لَا، لَمْ يَزَلْ مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا بِجَنَاحِهِ »[1] .

نجاته ﷺ من محاولة اغتيال :

اتفقت قريش على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابًا جلدًا ثم يعطى كل واحد من هؤلاء سيفًا صارمًا فيضربون به رسول الله ﷺ ضربة رجل واحد، فيقتلونه، فإذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل فلم يقدر بنوا عبد مناف على حرب العرب جميعًا، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: « لا تبت في فراشك الذي كنت تبيت عليه»، وأخبره بمكر القوم، وأذن الله له عند ذلك بالهجرة.

فلما كان عتمة الليل، اجتمع المشركون على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب « نم على فراشي،

(١) قال العلامة الألباني قلت: أخرجه من طريق أبي يعلى، وهذا في «مسنده» (١/ ٣٣ و ٤/ ٢٤٦ ورجاله ثقات؛ غير أن عطاء بن السائب كان اختلط ومن طريقه: أخرجه البزار (٢٢٩٤ و ٢٢٩٥) وغيره، ومع ذلك حَسَّنَ الحافظ إسناده في« الفتح» (٨/ !(٧٣٨ولعل ذلك لأن له شاهدًا في «مسند الحميدي» (٣٢٣) من طريق الوليد بن كثير، عن ابن تَدرُسَ، عن أسماء بنت عميس ... نحوه !! .ومن طريق الحميدي: أخرجه الحاكم (٢/ ٣٦١)، وقال: «صحيح الإسناد»! ووافقه الذهبي وابنُ تَدْرُسَ – هذا لم نعرفه، ولعلَّ أداة الكنية (ابن) مُقحمة من بعض الرواة، والصواب: (تُدرُس)، وهو جَدُّ أبي الزبير، محمد بن مسلم بن تُدْرُسَ، فقد ذكره المِزِّيُّ في شيوخ الوليد بن كثير – الراوي عنه هذا الحديث –؛ كما ذكره في الرواة عن أسماء بنت أبي بكرَ، وهذا سهوٌ منه، والصواب أن يذكر في الرواة عن أسماء بنت عميس؛ كما في هذا الحديث ...وعلى كل حال؛ فإني لم أجِدْ لتَدْرُسَ هذا ترجمة، ولكن الحديثَ بهذا الشاهد حسنٌ – إن شاء الله–.

وتسبح ببردي، فإنه لن يخلص إليك شيء منهم .

ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه ومعه حفنة من تراب فجعل يذرها على رؤوسهم وأخذ الله بأبصارهم عن نبيه ﷺ ومضى ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا (١) ».

حفظه ﷺ من سراقة بن مالك :

قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الهجرة فارتحلنا بعدما مالت الشمس، واتبعنا سراقة بن مالك، فقلت: « أُتينا يا رسول الله، فقال: ﴿ لَا تَحۡـزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ .

فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها فقال: إني أراكما قد دعوتما عليَّ، فادعوا لي: فالله لكما أن أرد عنكما الطلب ، فدعا له النبي ﷺ فنجا فجعل لا يلقى أحدًا إلا قال: كفيتكم من هنا، فلا يلقى أحدًا إلا رده قال: ووفى لنا (٢) ».

حفظه ﷺ من الشاة المسمومة :

قال ابن اسحاق : لما اطمأن النبي ﷺ فتح خيبر أهدت له زينب بن الحارث اليهوديه شاة مشوية، وكانت سألت أي عضو من الشاة أحب إليه؟ .

قيل لها: الذراع فأكثرت فيها السم، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته ومات منها.

وروى البهيقي بسنده أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة فأكل، فقال لأصحابه: «امسكوا فإنها مسمومة ».

(١)ابن هشام ١/ ٤٨٢، زاد المعاد ٢/ ٥٢.
(٢) أخرجه الإمام البخاري- رحمه الله تعالى- عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ١/ ٥٥٦ .

قال لها: « ما حملك على ذلك ».

قالت: أردت إن كنت نبيًا فيطلعك الله، وإن كنت كاذبًا فأريح الناس منك، فأعرض عنها.

وفي مصنف عبدالرزاق قال الزهري: «فأسلمت فتركها».

قال الحافظ ابن حجر: «ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت، وإنما أخر قتلها حتى مات بشر، لأن بموته تحقق وجوب القصاص بشرطه[1]» .

(١) انظر زاد المعاد ٢/ ١٣٩، ١٤٠، فتح الباري ٧/ ٤٩٧، وأصل القصة مروية في البخاري مطولا ومختصرا، ١/ ٤٤٩، ٢/ ٦١٠، ٨٦٠، وفي ابن هشام ٢/ ٣٣٧، ٣٣٨.

2

الفصل الثاني

أقسام حفظ الله للعبد

تمهيد :

حفظ الله لعبده يتضمن نوعين :

أحدهما : حفظه في مصالح دنياه، وهو على أقسام :

الأول : حفظه في بدنه، وجوارحه وولده وأهله وماله ، ويحفظه من مكر الأعداء، ويوكّل له من الملائكة من يتولون حفظه ورعايته، قال تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد: ١١] ، قال ابن عباس : هم الملائكة يحفظونه بأمر الله ، فإذا جاء القدر خلوا عنه.

وقال مجاهد : ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوامّ، فما من شيء يأتيه إلا قال : وراءك ، إلا شيء قد أذن الله فيه فيصيبه .

الثاني : من الحفظ وهو أشرف النوعين حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه ؛ وهذا من أهمها أن يحفظك الحافظ في دينك ويسلمك من الزيغ والضلال، فيحميك من مضلات الفتن ، وأمواج الشهوات ، ويحفظك عند موتك فيتوفاك على الإيمان .

1 المبحث الأول

حفظ الله للعبد في جوارحه

إن من حفظ الله للعبد في دنياه : أن يحفظه في صحته ، وقوته ، وعقله ، وجميع أعضائه.

قال بعض السلف : العالم لا يخرف، وقال بعضهم : من جمع القرآن منع بعقله .

وهذه بعض القصص المتعلقة بهذا الباب .

قصة / أسماء بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

هذه أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ كانت حافظة الله ، فحفظها الله تعالى .

يقول عروة بن الزبير ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ :«بلغت أسماء مائة سَنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل[١]» .

قصة / الإمام أبو الطيب الطبري :

كان أبو الطيب الطبري : أحد علماء الإسلام ، قد جاوز المائة سَنة وهو ممتع بعقله ، وقوته ، وفهمه ، وأعضائه ، وكان راكبًا في سفينة ، فلما اقتربت من الشاطئ أراد أن ينزل إلى الشاطئ ، فقفز ، فأراد الشباب وهم معه أن يقفزوا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٦٣٩٢) وانظر : مجمع الزوائد برقم (١٢١٠٣) والإصابة برقم (١٠٧٩٩) بألفاظ متقاربة .

فما استطاعوا ، فقالوا له : كيف استطعت وأنت شيخ ، وما استطعنا ونحن شباب ؟

قال : هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر[1].

حفظ الله عَزَّوَجَلَّ في صغره ، فحفظه الله في كبره ، ومتعه بجميع أعضائه . ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤].

قصة / الإمام الفقيه محمد بن عبدويه:

وهذا الفقيه الصالح / محمد بن الحسن بن عبدويه تلميذ الشيخ / أبي إسحاق الشيرازي .

كف بصره في آخر عمره ، وكان متوطنا في جزيرة كمران ، فقال بعض من كان يقرأ عليه : خرجت مرة من بلدي أريده في الجزيرة فدخلت المهجم فوجدت به طبيبًا فأخبرته بحال الفقيه ، وسألته أن يسير معي فأجابني ، وخرج معي إلى المهجم ، ثم ركبنا البحر حتى أتينا الجزيرة ، فأتيت الفقيه ، وسلمت عليه ، وأخبرته بقدومي بالطبيب .

فقال : لا بأس ، ثم لما كان آخر اليوم الذي قدمنا فيه عليه دعى بابن ابن له فقال له : اكتب، ثم أملى عليه شعرًا :

وقالوا قد دهى عينيك سوء ... فلو عالجته بالقدح زالا
فقلت الرب مختبري بهذا ... فإن أصبر أنل منه منالا
وإن أجزع حرمت الأجر منه ... وكان خصيصتي منه الوبالا

(١) انظر سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٨٨) والبداية والنهاية (١٢/ ١٩) وجامع العلوم والحكم عند شرح حديث رقم (١٩) .

وإني صابر راض شكور ولست مغيرًا ما قد أنالا
صنيع مليكنا حسن جميل وليس لصنعه شيء مثالا
وربي غير متصف بحيف تعالى ربنا عن ذا تعالى

قال : ولما بلغ قوله : وإني صابر راض شكور .... رد الله تعالى عليه بصره، وأضاء له المسجد ، وعاين ابن ابنه وهو يكتب وتكامل بصره بفضل الله تعالى، فقال له : أعط الطبيب ما شرط له ، فقد حصل الشفاء بإذن الله تعالى لا بمداواته[1]؟ .

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر.

2

المبحث الثاني
حفظ الله للعبد في بدنه

إن كل متمسك بهذا الدين معتز به يعلم أنه إذا حفظ الله فإن الله سوف يحفظه ، وكم في هذه الأمة من نماذج رائعة ضربت أروع الأمثلة في الشجاعة والتضحية والعزة في هذا الدين، ولم يكن ذلك إلا بحفظ الله،وقد ذكرت مجموعة من القصص، تبين حال من حفظ الله ، فكان بحفظ الله لا يخاف في الله لومة لائم، ولا بطش سلطان ولا جبروت متجبر ، ولكن ليعلم كل إنسان أن هذا الحفظ مقرون بالتزامات من ضيعها فإنه ليس ممن يستحق حفظ الله له .

قصة الثلاثة النفر :

عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا ، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاس إِلَيَّ ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ ، عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَقَالَ الثَّالِثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللهِ ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي ، فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْبَقَرِ ، وَالْغَنَمِ ، وَالرَّقِيقِ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللهِ ، لَا تَسْتَهْزِئُ بِي ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ ، فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ [(١)]» .

قصة سفينة مولى رسول الله ﷺ :

ذكر الحافظ الطبراني : أَنَّ سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « رَكِبْتُ الْبَحْرَ ، فَانْكَسَرَتْ سَفِينَتِي الَّتِي كُنْتُ فِيهَا ، فَرَكِبْتُ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِهَا ، فَطَرَحَنِي اللَّوْحُ فِي أَجَمَةٍ فِيهَا الأَسَدُ ، فَأَقْبَلَ يُرِيدُنِي .

فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْحَارِثِ ، أَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَطَأْطَأَ

(١) أخرجها البخاري برقم (٢١٥٢) ومسلم في الذكر والدعاء باب قصة أصحاب الغار الثلاثة رقم (٢٧٤٣) .

رَأْسَهُ ، وَأَقْبَلَ إِلَيَّ ، فَدَفَعَنِي بِمَنْكِبِهِ حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنَ الأَجَمَةِ ، وَوَضَعَنِي عَلَى الطَّرِيقِ ، وَهَمْهَمَ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَدِّعُنِي ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ عَهْدِي بِهِ [1].

قصة أبي معلق :

عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الأَنْصَارِ يُكَنَّى أَبَا معلق وَكَانَ تَاجِرًا يَتْجُرُ بِمَالٍ لَهُ وَلِغَيْرِهِ يَضْرِبُ بِهِ فِي الآفَاقِ ، وكَانَ نَاسِكًا وَرِعًا ، فَخَرَجَ مَرَّةً ، فَلَقِيَهُ لِصٌّ مُقَنَّعٌ فِي السِّلاحِ ، فَقَالَ لَهُ : ضَعْ مَا مَعَكَ ، فَإِنِّي قَاتِلُكَ . قَالَ : مَا تُرِيدُ إِلَى دَمِي ؟ شَأْنُكَ بِالْمَالِ . قَالَ : أَمَّا الْمَالُ ، فَلِي ، وَلَسْتُ أُرِيدُ إِلا دَمَكَ . قَالَ : أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ ، فَذَرْنِي أُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ . قَالَ : صَلِّ مَا بَدَا لَكَ . فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ فِي آخِرِ سَجْدَةٍ ، أَنْ قَالَ : يَا وَدُودُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ، يَا فَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ ، أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لا يُرَامُ ، وَمُلْكِكَ الَّذِي لا يُضَامُ ، وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ ، أَنْ تَكْفِيَنِي شَرَّ هَذَا اللِّصِّ ، يَا مُغِيثُ أَغِثْنِي ، يَا مُغِيثُ أَغِثْنِي ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ: دَعَا بِهَذَا ثَلاثَ مِرَارٍ ، فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ بِيَدِهِ حَرْبَةٌ وَاضِعَهَا بَيْنَ أُذُنَيْ فَرَسِهِ ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ اللِّصُّ ، أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، وَطَعَنَهُ ، فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ: قُمْ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ بِأَبِي وَأُمِّي ، لَقَدْ أَغَاثَنِي اللهُ بِكَ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : أَنَا مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ دَعَوْتَ اللهَ بِدُعَائِكَ الأَوَّلِ ، فَسَمِعْتُ لأَبْوَابِ السَّمَاءِ قَعْقَعَةً ، ثُمَّ دَعَوْتَ بِدُعَائِكَ الثَّانِي ، فَسَمِعْتُ لأَهْلِ السَّمَاءِ ضَجَّةً ، ثُمَّ دَعَوْتَ بِدُعَائِكَ الثَّالِثِ ، فَقِيلَ لِي : دُعَاءُ مَكْرُوبٍ ، فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُوَلِّيَنِي قَتْلَهُ » .

قَالَ أَنَسٌ : فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ تَوَضَّأَ ، وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، وَدَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ اسْتُجِيبَ لَهُ ، مَكْرُوبًا كَانَ ، أَوْ غَيْرَ مَكْرُوبٍ » [2].

---

(١) أخرجه البزار، والطبراني .

(٢) الجواب الكافي (ص ٧) والإصابة في تميز الصحابة (٧/ ٣٧٩) ذكره عن الحسن عن أنس بن مالك .

قصة صلة بن أشيم يحيمه الواحد الأحد من الأسد :

ذكر الإمام / ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في البداية والنهاية هذه القصة [(١)] فقال :

صلة بن أشيم العدوي من كبار التابعين من أهل البصرة ، وكان ذا فضل وورع وعبادة وزهد ، كنيته أبو الصهباء كان يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي الفراش إلا حبوا، وله مناقب كثيرة جدا .

ثم ذكر له بعض المناقب حتى قال :

ومنها ما حكاه جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله الليلة ، فدخل غيضة ودخلت في أثره فقام يصلي وجاء الأسد حتى دنا منه وصعدت أنا في شجرة ، قال فتراه التفت أو عده جروا حتى سجد فقلت : الآن يفترسه ، فجلس ثم سلم فقال : أيها السبع إن كنت أمرت بشيء فافعل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر ، فولى الأسد وإن له لزئيرًا تصدع منه الجبال ، فلما كان عند الصباح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها ثم قال : « اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسئلك الجنة » .

ثم رجع إلى الجيش فأصبح كأنه بات على الحشا، وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عليم .

قال : وذهبت بغلته بثقلها فقال : « اللهم إني أسألك أن ترد علي بغلتي بثقلها » فجاءت حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التقينا العدو حمل هو وهشام

(١) ذكرت القصة في ترحمة – صلة بن أشيم العدوي – في المراجع التالية : أسد الغابة – الدر المنثور – إغاثة اللهفان – حلية الأولياء الثبات عند الممات – التواضع والخمول – مجابو الدعوة – محاسبة النفس – حلية الأولياء – يقظة أولي الاعتبار – الإصابة في تمييز الصحابة – الطبقات الكبرى.

ابن عامر فصنعا بهم طعنًا وضربًا ، فقال العدو : رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا كلهم ؟ أعطوا المسلمين حاجتهم ـ يعني انزلوا على حكمهم: حفظ الله فحفظه ...

قصة ابن أبي الحسن الزاهد : [1]

كان الملك ابن طولون ظالم من ظلمة الحكام ، وقل أن يأتي إليه إنسان ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر إلا ويقطع رقبته ، حتى إنه قتل ثمانية عشر ألف إنسان صبرا ، والصبر هو أشد أنواع القتل يجوع حتى يموت .

جاءه الإمام ابن أبي الحسن الزاهد وقال له : يا ابن طولون إنك قد ظلمت وفعلت ، وفعلت وأنبه وتكلم عليه فاشتد ابن طولون وأمر بحبسه ، لما حبسه أمر ابن طولون بتجويع أسد ثلاثة أيام ، وعندما جوع الأسد اجتمع الناس وفي مقدمتهم ابن طولون ووضع ، وجيء بأبي الحسن الزاهد ، ووضع أمام الأسد في حلبة .

تصوروا إنسانًا ضعيفًا أعزل أمام أسد جائع له ثلاثة أيام لم يأكل ، فلما رآه الأسد بدأ يزأر ويتقدم ويتأخر ، والناس أيديهم على قلوبهم من المعركة غير المتكافئة ، وأبو الحسن الزاهد قد أطرق مليًا ، لا يتحرك منه عضو في جسده كأنه لا يبالي، وبدأ يهدر هذا الأسد والناس بين خائف ، ومكبر ووجل ، ووجدوا أن الأسد يتقدم ويتأخر ، ثم جاء وطأطأ برأسه على أبي الحسن الزاهد وشمه ثم ذهب ، وبدأ يفعل هذا برهة من الزمن ، ثم طأطأ رأسه وانصرف في زاوية من المكان ، وجلس ولم يمس أبا الحسن الزاهد بسوء ، وكبر الناس وتعجبوا .

فقال أحمد بن طولون : ائتوني به ، فجاءوا بالإمام الزاهد فسأله وقال :

(١) مرجع القصة : البداية والنهاية ج ١١ عند ذكر سنة ٣٠٣ .

أريد أن أسألك سؤالًا بماذا كنت تفكر والأسد يزأر ويصيح ويرفع صوته؟

قال : إن الأسد عندما جاء وشمني ومس ثوبي جلست أتأمل هل لعاب الأسد طاهر أو نجس ؟ هذه القضية التي تشغله .

قال : أما خفت من الأسد ؟ .

قال : أبدا ؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكفيني إياه !!

من الذي حفظه إلا الله الذي يحفظ من يحفظه في وقت الرخاء .

حفظوا الله فحفظهم الله ،»ما اعتصم عبدُ بالله فكادته السماء والأرض إلا جعل الله له منها فرجًا ومخرجًا».

قصة / الحسن البصري مع الحجاج :

عن البيهقي ، قال : أخبرني الرياشي ، قال : لما فرغ الحجاج من بناء واسط، قال للحسن البصري بعد فراغه منها : كيف ترى بناءنا هذا ؟ قال الحسن : إن الله أخذ عهود العلماء ومواثيقهم أن لا يقولوا إلا الحق ، أما أهل السماء أيها الأمير فقد مقتوك ، وأما أهل الأرض فقد غروك ، أنفقت مال الله في غير طاعته ، يا عدو نفسه ، فنكس الحجاج رأسه حتى خرج الحسن ، ثم قال : يا أهل الشام ، يدخل علي عبيد أهل البصرة ويشتمني في مجلسي ثم لا يكون لذلك معير ولا نكير ، ردوه ، فخرجوا ليردوه ، ودعا بالسيف ليقتله ، فلما دخل الحسن دعا بدعوات لم يتمالك الحجاج أن قربه ورحب به وأجلسه على طنفسته ، ثم دعا بالطيب فغلف لحيته وصرفه مكرمًا ، فلما خرج من عنده تبعه الحاجب .

وقال : يقول لك الأمير رأيتك تحرك شفتيك وقد كنت هممت بك ، فماذا

قلت في دعائك ؟ فقال الحسن : قلت يا عدتي عند كربتي ، ويا صاحبي عند شدتي ، ويا ولي نعمتي ، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ويا كهيعص ، بحق طه ويس والقرآن العظيم أرزقني معروف الحجاج ومودته ، واصرف عني أذاه ومعرته ، فقال الحاجب عندها : بخ بخ لهذا الدعاء . وأمر الحجاج بأن يكتب له هذا الدعاء(١) .

قصة / الأوزاعي مع الحاكم العباسي :

روي أن الإمام الأوزاعي ذلكم الإمام المحدث الورع الفقيه حين دخل عبد الله بن علي ذلكم الحاكم العباسي دمشق في يوم من الأيام فقتل فيها ثمانية وثلاثين ألف مسلم ثم يُدخل الخيول مسجد بني أمية ، ثم يتبجح ويقول : من ينكرُ عليَّ في ما أفعل ؟ .

قالوا : لا نعلم أحدًا غير الإمام الأوزاعي فيرسل من يستدعيه ، فعلم الإمام الأوزاعي أنه الامتحان وعلم أنه الابتلاء ، وعلم أنه إما أن ينجح ونجاحٌ ما بعده رسوب ، وإما أن يرسب ورسوبٌ ما بعده نجاح ، فماذا كان من هذا الإمام ؟ .

قام واغتسل وتحنط وتكفن ولبس ثيابه من على كفنه ، ثم أخذ عصاه في يده ، ثم اتجه إلى من حفظه في وقت الرخاء فقال : يا ذا العزة التي لا تضام ، والركن الذي لا يرام يا من لا يهزمُ جنده ولا يغلب أولياؤه أنت حسبي ومن كنت حسبه فقد كفيته ، حسبي الله ونعم الوكيل ثم ينطلق وقد توكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى انطلاقة الأسد إلى ذلك الحاكم وقد صف وزراءه وصف سماطين من الجلود يريد أن يقتله وأن يرهبه بها قال فدخلت وإذا السيوف وإذ السماط

(١) ذكرت القصة في كتاب « كرامات الأولياء » لابن أبي الدنيا .

معد ، وإذا الأمور غير ما كنت أتوقع .

قال فدخلت ووالله ما تصورت في تلك اللحظة إلا عرش الرحمن بارزًا والمنادي ينادي : فريق في الجنة وفريق في السعير .

فوالله ما رأيته أمامي إلا كالذباب ، والله ما دخلت بلاطه حتى بعت نفسي من الله جل وعلا .

قال فانعقد جبينُ هذا الرجل من الغضب .

ثم قال : له أأنت الأوزاعي .

قال : يقول الناس أني الأوزاعي .

قال : ما ترى في هذه الدماء التي سفكناها ؟ قال : حدثنا فلان ، عن فلان، عن فلان ، عن جدك ابن عباس ، وعن ابن مسعود ، وعن أنس ، وعن أبي هريرة ، وعن عائشة – رضي الله عنهم – أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل دمُ امرئ مسلم إلا بأحد ثلاث ، الثيب الزاني ، والنفسُ بالنفس ، والتاركُ لدينه المفارقُ للجماعة** » .

قال : فتلمظ كما تتلمظ الحية وقام الناس يتحفزون ويرفعون ثيابهم لـ ألا يصيبَهم دمي، ورفعتُ عمامتي ليقعُ السيفُ على رقبتي مباشرة وإذ به يقول : وما ترى في هذه الدور التي اغتصبنا والأموال التي أخذنا ؟ .

قال : سوف يجردُك الله عريانًا كما خلقك ثم يسألك عن الصغير والكبير والنقير والقطمير ، فإن كانت حلالًا فحساب ، وإن كانت حرامًا فعقاب .

قال : فانعقد جبينه مرة أخرى من الغضب وقام الوزراء يرفعون ثيابهم وقمت لأرفع عمامتي ليقع السيف على رقبتي مباشرة .

١٠٦

قال وإذ به تنتفخ أوداجه ثم يقول اخرج ، قال : فخرجت فوالله ما زادني ربي إلا عزًا [١].

قصة جعفر بن محمد بن علي بن الحسين :

عن عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال حج أبو جعفر سَنَة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به تعبا قتلني الله إن لم أقتله فتغافل عنه الربيع لينساه ثم أعاد ذكره للربيع وقال أرسل إليه من يأتي به متعبًا فتشاغل عنه ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر وأمره أن يبعث إليه ففعل فلما أتاه قال له يا أبا عبد الله اذكر الله فإنه قد أرسل إليك التي لا سوى لها قال جعفر لا حول ولا قوة إلا بالله ثم أعلم أبا جعفر حضوره فلما دخل أوعده وقال أي عدو الله اتخذك أهل العراق إماما يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل قتلني الله إن لم أقتلك فقال يا أمير المؤمنين: إن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أعطي فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر وإن يوسف ظُلم فغفر وأنت من ذلك النسخ فقال له أبو جعفر إلي وعندي أبا عبد الله البريء الساحة السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه ثم قال علي بالمنجفة فأتى بدهن فيه غالية فغلفه بيده حتى خلت لحيته قاطرة ثم قال في حفظ الله وفي كلاءته ثم قال يا ربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته انصرف أبا عبد الله في حفظ الله وفي كنفه فانصرف ولحقته فقلت له إني قد رأيت قبل ذلك ما لم تره ورأيت بعد ذلك ما قدر رأيت فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت قال قلت اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام واغفر لي بقدرتك على لا أهلك وأنت رجائي

(١) البداية والنهاية الجزء ١٠ في ذكر بداية سنة ١٥٤ عند ترجمة الإمام الأوزاعي .

اللهم إنك أكبر وأجل ممن أخاف وأحذر اللهم بك أدفع في نحره وأستعيذ بك من شره[1].

قصة / رجل من أهل البحرين : [2]

قال الفضيل ابن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ وهو يحدث عن : إبراهيم التيمي : إن إبراهيم قال : إن حبسني (يعني الحجاج) فهو أهون علي ، ولكن أخاف أن يبتليني فلا أدري على ما أكون عليه ؟ (يعني من الفتنة) ، فحبسني ، فدخلت على اثنين في قيد واحد ، في مكان ضيق لا يجد الرجل إلا موضع مجلسه ، فيه يأكلون وفيه يتغوطون ، وفيه يصلون قال : فجيء برجل من أهل البحرين ، فأدخل علينا ، فلم يجد مكانًا ، جعلوا يتبرمون منه ، فقال : اصبروا ، فإنما هي الليلة ، فلما كان الليل قام يصلي ، فقال : يا رب مننت علي بدينك، وعلمتني كتابك ، ثم سلطت علي شر خلقك ، يا رب الليلة الليلة ، لا أصبح فيه ، فما أصبحنا حتى ضر بواب السجن أين البحراني ؟ فقلنا : ما دعا به الساعة إلا ليقتل ، فخلي سبيله ، فجاء فقام علي الباب ، فسلم علينا ، وقال: أطيعوا الله .

قصة / الرجل الجزار :

أضجع أحد الجزارين كبشًا ليذبحه بالقيروان ، فتخبط بين يديه وألفت منه وذهب ، فقام الجزار يطلبه وجعل يمشي إلى أن دخل إلى خربة ، فإذا فيها رجل مذبوح يتشحط في دمه ففزع وخرج هاربًا . وإذا صاحب الشرطة الرجالة عندهم خبر القتيل ، وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول ، فأصابوا الجزار وبيده السكين وهو ملوّث بالدم والرجل مقتول في الخربة ، فقبضوه

(١) صفوة الصفوة (جزء ٢ ـ ص ١٧١) .
(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » عند ترجمة – إبراهيم بن يزيد التيمي–.

وحملوه إلى السلطان فقال له السلطان : أنت قتلت الرجل ؟ قال : نعم ! فما زالوا يستنطقونه وهو يعترف اعترافًا لا إشكال فيه ، فأمر به السلطان ليُقتل فأخرج للقتل ، واجتمعت الأمم ليبصروا قتله ، فلما هموا بقتله اندفع رجل من حلقة المجتمعين وقال : يا قوم لا تقتلوه فأنا قاتل القتيل ! فقُبض وحُمل إلى السلطان فاعترف وقال : أنا قتلته! ، فقال السلطان قد كنت معافى من هذا فما حملك على الاعتراف ؟ فقال : رأيت هذا الرجل يُقتل ظلمًا فكرهت أن ألقى الله بدم رجلين ، فأمر به السلطان فقُتل ثم قال للرجل الأول : يا أيها الرجل ما دعاك إلى الاعتراف بالقتل وأنت بريء ؟ ، فقال الرجل : فما حليتي رجل مقتول في الخربة وأخذوني وأنا خارج من الخربة وبيدي سكين ملطخة بالدم، فإن أنكرت فمن يقبلني وإن اعتذرت فمن يعذرني ؟ فخلى سبيله وانصرف مكرَّمًا [1].

(١) مجابي الدعوة (ج١ص ٦٤).

3

المبحث الثالث

حفظ الله للعبد في أولاده

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه في ولده وولد ولده ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢] ، أنهما حفظا بصلاح أبيهما .

قصة / أصحاب الجدار :

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ هذه القصة في سورة الكهف ، وأخبرنا في رحلة موسى مع الخضر ، أنهما أتيا أهل قرية فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه : الخضر ، فقال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ، عمدت إلى حائطهم ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الكهف: ٧٧].

ثم بين الخضر لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سبب فعله ذلك بقوله : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٨٢].

قال العلماء : فصلاح أبي اليتيمين كان سببًا لحفظ الله تعالى لذريته بعد موته .

وقال عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ : « ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه » .

وقال محمد بن المنكدر : « إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها ، والدويرات التي حولها فيما يزالون في حفظ الله وستره[1]» .

وقال سعيد ابن المسيب لإبنه:يا بني لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أُحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢].

قصة / عمر بن عبدالعزيز :

عمر بن عبد العزيز : الخليفة الأموي الراشد ـ رحمه الله تعالى ـ لما حضرته الوفاة ، لم يكن عند أولاده من المال شيء وكان خليفة ، أنفق المال في سبيل الله ، فلما كان في أنفاسه الأخيرة : قيل له : هؤلاء بَنُوكَ ـ وكانوا اثني عشر ـ ألا توصي لهم بشيء فإنهم فقراء ؟ فقال : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ [الأعراف١٩٦]، والله لا أعطيتهم حق أحد ، وهم بين رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه[2].

ثم مات بعد ذلك ، فحفظ الله أولاده من بعده .

حتى قال العلماء : وكان أبناؤه من أغنى الأغنياء في الناس[3].

(١)رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ١١٢) برقم (٣٣٠) والحميدي في مسنده (١/ ١٨٥) برقم (٣٧٣) .
(٢) وهذا اجتهاد منه ورأي له – يرحمه الله – .
(٣) البداية والنهاية (٩/ ٢٣٥) .

4

المبحث الرابع

حفظ الله للعبد في ماله

ومتى كان العبد حافظًا الله عَزَّوَجَلَّ ، مشتغلًا بطاعته ، فإن الله تعالى يحفظه في ماله .

وهذه بعض القصص ؟

قصة / رجل من بني إسرائيل :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَالَ : ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ . فَقَالَ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا . قَالَ : فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ . قَالَ : كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا . قَالَ : صَدَقْتَ . فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً ، فَنَقَرَهَا ، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا فَرَضِيَ بِكَ ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ ، وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا ، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ .

فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا ، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ، ثُمَّ

قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَار ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ.قَالَ:هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ . قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا (١)».

قصة / صاحب الحديقة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ** (٢)».

قصة / أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنها :

عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ :مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُحْصِي شَيْئًا وَأَكِيلُهُ قَالَ : « **يَا أَسْمَاءُ لَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ** » قَالَتْ :فَمَا أَحْصَيْتُ شَيْئًا بَعْدَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِي وَلَا دَخَلَ عَلَيَّ ،وَمَا نَفِدَ عِنْدِي مِنْ رِزْقِ اللَّهِ إِلَّا أَخْلَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (٣)».

---

(١) صحيح : أخرجه الإمام / البخاري في الحوالات ، باب « الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها».
(٢) صحيح : أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٤) .
(٣) حسن : أخرجه أحمد برقم (٢٥٧٣١) .

قصة / شيبان الراعي :

كان شيبان الراعي يرعى غنمًا في البرية ، فإذا جاءت الجمعة خط عليها خطًا ، وذهب إلى الجمعة ، ثم يرجع وهي كما تركها[1]!

قصة / رجل من بعض السلف :

وكان بعض السلف في الميزان يزن بها دراهم ، فسمع الأذان ، فنهض ونفضها على الأرض ، وذهب إلى الصلاة ، فلما عاد جمعها فلم يذهب منها شيء[2].

قصة / امرأة خرجت غازية في سبيل الله :

عن حُميد يعني ابن هلال قال : كان رجل من الطفاوة طريقه علينا فأتى على الحي فحدثهم قال قدمت المدينة في عير لنا فبعنا بياعتنا ثم قلت لأنطلقن إلى هذا الرجل فلآتين من بعدي بخبره قال فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يُريني بيتًا قال : « إن امرأة كانت فيه فخرجت في سرية من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزًا لها وصيصيتها كانت تنسج بها قال ففقدت عنزًا من غنمها وصيصيتها فقالت يا رب إنك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه وإني قد فقدت عنزًا من غنمي وصيصيتي وإني أنشدك عنزي وصيصيتي قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر شدة مناشدتها لربها تبارك وتعالى قال رسول الله ﷺ فأصبحت عنزها ومثلها وصيصيتُها[3] ومثلها وهاتيك فأتها فاسألها إن شئت قال قلت بل أصدِّقك [4]».

---

(١) نور الاقتباس في وصية النبي لابن عباس لابن رجب (ص: ٥٣) .
(٢) نور الاقتباس في وصية النبي لابن عباس لابن رجب (ص: ٥٣) .
(٣) الصيصية : هي الصَّنارة التي يُغزل بها ويُنسج .
(٤) أخرجه : أحمد (٥/ ٦٧) ، هذا الحديث مما تفرد به الإمام أحمد ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد (٥/ ٢٧٧) » : رجاله رجال الصحيح .

قصة / إبراهيم ابن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ :

عن خلف بن تميم ، قال : كنا مع إبراهيم ابن أدهم في سفر له فأتاه الناس فقالوا : أن الأسد قد وقف على طريقنا ، قال : فأتاه ، فقال : « يا أبا الحارث، أن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به ، وأن لم تكن أمرت فينا بشيء فتنح عن طريقنا ، قال : فمضى وهو يهمهم ، فقال لنا إبراهيم ابن أدهم : وما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ولا تهلكنا وأنت الرجاء، قال إبراهيم : أني لأقولها على ثيابي ونفقتي فما فقدت منها شيئًا[(١)].

الشاهد منها : أنه لما كان حافظًا الله عَزَّوَجَلَّ ، حفظه الله عَزَّوَجَلَّ في ماله ، وهذا صريح في قوله « إني لأقولها على ثيابي ونفقتي فما فقدت منها شيئًا » .

قصة رجل كان في غزاة :

عن طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعي ، أن رجلًا ، كان في غزاة له مع أصحابه، فأبق غلام له بفرسه ، فلما أراد أصحابه أن يرتحلوا ، توضأ الرجل وصلى ركعتين ، وقال : « اللهم إنك ترى مكاني وحالي ، وارتحال أصحابي ، اللهم إني أقسم عليك لما رددت علي فرسي وغلامي فالتفت فإذا هو بالغلام مكتوف بشطن [(٢)] الفرس [(٣)]» .

قصة / عاصم بن أبي إسحاق :

أصاب الفقر والحاجة شيخ القراء في زمانه عاصم بن أبي إسحاق ، فذهب إلى بعض إخوانه فأخبره بأمره ، فرأى في وجهه الكراهة ، فضاق صدره

(١) إسناده صحيح : رواه / أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٤٦) .
(٢) الشطن : الحبل الطويل .
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « مجابوا الدعوة » .

وخرج لوحده إلى الصحراء ، وصلى لله ما شاء الله تعالى ، ثم وضع وجهه على الأرض، وقال : يا مسبّب الأسباب! يا مفتح الأبواب! ويا سامع الأصوات! يا مجيب الدعوات! يا قاضي الحاجات! اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك « يلح على الله « بهذا الدعاء ـ حتى قال: فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي ، فرفعت رأسي فإذا بحدأة طرحت كيسًا أحمر ، فأخذت الكيس فإذا فيه ثمانون دينارًا وجوهرًا ملفوفًا في قطنة ، فبعت الجواهر بمال عظيم واشتريت منها عقارًا ، وحمدت الله تعالى على ذلك[١].

قصة / امرأة بعد فساد زرعها :

قال بعض العلماء : رأيت امرأة بالبادية ، وقد جاء البَرَدُ فذهب بزرعها، فجاء الناس يعزّونها فرفعت رأسها إلى السماء ، وقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف وبيدك التعويض مما تلف ، فافعل بنا ما أنت أهله ، فإنّ أرزاقنا عليك وآمالنا مصروفة إليك، قال : فلم أبرح حتى مرّ رجل من الأجلاء ، فحدّث بما كان ؛ فوهب لها خمسمائة دينار ، فأجاب الله دعوتها وفرّج في الحين كربتها [٢].

قصة / أصبغ بن زيد :

عن أصبغ بن زيد قال : مكثت أنا ومن عندي ثلاثًا لم نطعم شيئًا أي : ـ من الجوع ـ فخرجت إليَّ ابنتي الصغيرة وقالت : يا أبت! الجوع! ـ تشكو الجوع ـ قال : فأتيت الميضأة، فتوضأت وصليت ركعتين ، وألهمت دعاء دعوت به ، في آخره : اللهم افتح عليّ منك رزقًا لا تجعل لأحد عليّ فيه منة ، ولا لك عليّ

(١) مجابي الدعوة (ج١ص ١٢١).
(٢) مرجع القصة « الفرج بعد الشدة « للتنوخي، باب « من بشر بفرج من نطق فال ونجا من محنة بقول أو دعاء».

في الآخرة فيه تبعة ، برحمتك يا أرحم الراحمين! ثم انصرفت إلى البيت ، فإذا بابنتي الكبيرة وقد قامت إليَّ وقالت : يا أبه! جاء رجل يقول أنّه عمي بهذه الصرة من الدراهم وبحمّال عليه دقيق ، وحمّال عليه من كل شيء في السوق ، وقال : أقرئوا أخي السلام وقولوا له : إذا احتجت إلى شيء فادع بهذا الدعاء، تأتك حاجتك، قال أصبغ بن زيد : والله ما كان لي أخ قط ، ولا أعرف من كان هذا القائل ، ولكن الله على كل شيء قدير[1].

قصة / رجل بار بأبيه :

أعرف رجل عامي ، كلما دخل في مشروع تجاري ربح ، حتى أن الناس كلهم متواطئون على أنها دعوة الوالد ، فإذا علم أن والده مريض لا يمكن أن يبقى عند أبنائه أو عند زوجته ، لا يمسي إلا عند أبيه ، وعنده بعض الإخوة المستقيمين لكن ليسوا بمثابته من حيث البر والطاعة ، وهكذا حفظ الله هذا الرجل وحفظ عليه أمواله وأولاده بدعوة أبيه ؟ . أ هـ .

(١) الحلية لأبي نعيم (٣/ ٢)٠

5

المبحث الخامس

حفظ الله للعبد في عرضه

قصة / جريج العابد :

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلًا عابدًا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت يا جريج فقال أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت إن شئتم لأفتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال أين الصبي فجاءوا به فقال دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا[(١)]».

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري برقم (٣١٨١) ومسلم برقم (٤٦٢٦) واللفظ له .

قصة / سارة مع النمرود :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ، قال رسول الله ﷺ:« لم يكذب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عَزَّوَجَلَّ ، قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات: ٨٩] ، وقوله: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الأنبياء: ٦٣] .

وقال : «بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ها هنا رجلًا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه قال أختي فأتى سارة قال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخِذَ فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأُطلِق ثم تناولها الثانية فأُخذ مثلها أو أشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأُطلق فدعا بعض حجبته فقال إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيا قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر قال أبو هريرة تلك أمكن يا بني ماء السماء [(١)]» .

قصة / امرأة ـ حفظت الله فحفظها ـ :

حكي أن امرأة حسنة الوجه كثيرة المال تأخرت في دارها هي ووصيفاتها وجواريها عن الهروب حين الواقعة بالإسكندرية فدخلت الإفرنج إليها بأيديهم السيوف المسلولة فقال لها أحدهم : أين المال؟ فقالت : وهي فزعة: المال في هذه الصناديق التي هي بالداخل هذا البيت وأشارت إلى البيت بالمجلس التي هي فيه وصارت ترعد من الخوف فقال أحدهم لها : لا تخافي فأنت تكونين

(١) صحيح : البخاري برقم (٣١٠٨) ومسلم برقم (٤٣٧١) .

١١٩

عندي وفي مالي وخيري ترتعين ففهمت عنه أنه أحبها ويريدها لنفسه فمالت إليه وقالت له بكلام خفي : أريد أن ادخل بيت خلاء ورققت له القول .

ففهم عنها أنها أرادته وأشار إليها أن تمضي لقضاء حاجتها فمضت واشتغلوا بنهب الصناديق فخرجت المرأة من باب دارها ودخلت مخزنا غلسا مملواءًا تبنا بزقاق دارها ، فحفرت في التبن حفرة واندفنت بها فطلبتها الإفرنج بعد نهبهم لدارها فلم يجدوها فاشتغلوا بحمل النهب ومضوا فسلمت المرأة من الأسر بحيلتها تلك وكذلك وصيفتها وجواريها سلمن من الأسر بصعودهن سطح الدار فقالت المرأة عند ذلك سلامة الدين والعرض خير من المال الذي لم يدخر عند ذوي المروءات إلا لغرض مثل هذا لأن الفقر خير من الأسر والافتتان بتغيير الدين بالقهر[1].

(١) أنظر : أسعد امرأة في العالم : ٧٦ .

6 المبحث السادس
حفظ الله للعبد في دينه

وهذا من أهم أنواع وصور الحفظ وهو : أن يحفظك الحافظ في دينك ويسلمك من الزيغ والضلال ، فيحميك من مضلات الفتن، وأمواج الشهوات .

إن الله عَزَّوَجَلَّ إذا حفظته فإنه يحفظك في دينك ، وفي إيمانك ، وعقيدتك ، وفي يقينك، ومعرفتك بالله عَزَّوَجَلَّ ، وهذه هي أغلى شيء في هذه الدنيا .

ومن حفظ الله تعالى لعبده المؤمن في دينه أن يحفظه من الشبهات والشهوات.

فمن حفظ الشبهات: أن يريه الحق حقًا ويرزقه أتباعه ، ويريه الباطل باطلًا ويرزقه اجتنابه ولذلك علم النبي ﷺ أمته هذا الدعاء وكان يدعو به ﷺ في أحرى ساعات الإجابة ففي صحيح مسلم عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت :« كان ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم [١]» .

ومن حفظ الشهوات: ما يصرفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن عبده المؤمن من الوقوع في الشهوات المحرمة قال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ

(١) صحيح مسلم[٧٧٠] .

﴿ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤ ﴾ [يوسف ٢٤].

وسنذكر بعض النماذج الذين حفظوا الله فحفظهم الله في دينهم:

قصة / يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

حفظ الله تعالى لدين يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، على الرغم من الفتنة العظيمة التي أحاطت به وكادت له ، يقول الله تعالى في ذلك : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤ ﴾ [يوسف: ٢٤].

وتستمر هذه الرعاية للعبد حتى يلقى ربّه مؤمنًا موحدًا .

قصة / أصحاب الكهف :

في زمان ومكان غير معروفين لنا الآن ، كانت توجد قرية مشركة ، ضل ملكها وأهلها عن الطريق المستقيم ، وعبدوا مع الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، عبدوهم من غير أي دليل على ألوهيتهم ، ومع ذلك كانوا يدافعون عن هذه الآلهة المزعومة ، ولا يرضون أن يمسها أحد بسوء ، ويؤذون كل من يكفر بها، ولا يعبدها .

في هذا المجتمع الفاسد ، ظهرت مجموعة من الشباب العقلاء ، ثلة قليلة حكّمت عقلها ورفضت السجود لغير خالقها ، الله الذي بيده كل شيء ، فتية، آمنوا بالله ، فثبتهم وزاد في هداهم ، وألهمهم طريق الرشاد ، فحفظهم في دينهم وأبدانهم .

لم يكن هؤلاء الفتية أنبياء ولا رسلا ، ولم يتوجب عليهم تحمل ما يتحمله الرسل في دعوة أقوامهم ، إنما كانوا أصحاب إيمان راسخ ، فأنكروا على قومهم شركهم بالله ، وطلبوا منهم إقامة الحجة على وجود آلهة غير الله ، ثم

قرروا النجاة بدينهم وبأنفسهم بالهجرة من القرية لمكان آمن يعبدون الله فيه، فالقرية فاسدة، وأهلها ضالون .

عزم الفتية على الخروج من القرية، والتوجه لكهف مهجور ليكون ملاذاً لهم، خرجوا ومعهم كلبهم من المدينة الواسعة، للكهف الضيق، تركوا وراءهم منازلهم المريحة، ليسكنوا كهفًا موحشًا، زهدوا في الأسرّة الوثيرة، والحجر الفسيحة، واختاروا كهفًا ضيقًا مظلماً .

إن هذا ليس بغريب على من ملأ الإيمان قلبه . فالمؤمن يرى الصحراء روضة، إن أحس أن الله معه، ويرى الكهف قصرا، إن اختار الله له الكهف .

وهؤلاء ما خرجوا من قريتهم لطلب دنيا أو مال، وإنما خرجوا طمعًا في رضى الله، وأي مكان يمكنهم فيه عبادة الله ونيل رضاه سيكون خيرًا من قريتهم التي خرجوا منها .

استلقى الفتية في الكهف، وجلس كلبهم على باب الكهف يحرسه، وهنا حدثت معجزة إلهية، لقد نام الفتية ثلاثمائة وتسع سنوات، وخلال هذه المدة، كانت الشمس تشرق عن يمين كهفهم وتغرب عن شماله، فلا تصيبهم أشعتها في أول ولا آخر النهار، وكانوا يتقلبون أثناء نومهم، حتى لا تهترئ أجسادهم، فكان الناظر إليهم يحس بالرعب لأنهم نائمون ولكنهم كالمستيقظين من كثرة تقلبهم .

بعد هذه المئين الثلاث، بعثهم الله مرة أخرى، استيقظوا من سباتهم الطويل، لكنهم لم يدركوا كم مضى عليهم من الوقت في نومهم، وكانت آثار النوم الطويل بادية عليهم، فتساءلوا : كم لبثنا ؟! فأجاب بعضهم : لبثنا يومًا أو بعض يوم، لكنهم تجاوزوا بسرعة مرحلة الدهشة، فمدة النوم غير مهمة،

المهم أنهم استيقظوا وعليهم أن يتدبروا أمورهم .

فأخرجوا النقود التي كانت معهم ، ثم طلبوا من أحدهم أن يذهب خلسة للمدينة ، وأن يشتري طعامًا طيبًا بهذه النقود ، ثم يعود إليهم برفق حتى لا يشعر به أحد . فربما يعاقبهم جنود الملك أو الظلمة من أهل القرية إن علموا بأمرهم ، قد يخيرونهم بين العودة للشرك ، أو الرجم حتى الموت .

خرج الرجل المؤمن متوجهًا للقرية ، إلا أنها لم تكون كعهده بها ، لقد تغيرت الأماكن والوجوه ، تغيّرت البضائع والنقود ، استغرب كيف يحدث كل هذا في يوم وليلة . وبالطبع ، لم يكن عسيرًا على أهل القرية أن يميزوا دهشة هذا الرجل ، ولم يكن صعبًا عليهم معرفة أنه غريب ، من ثيابه التي يلبسها ونقوده التي يحملها .

لقد آمن المدينة التي خرج منها الفتية ، وهلك الملك الظالم ، وجاء مكانه رجل صالح ، لقد فرح الناس بهؤلاء الفتية المؤمنين ، لقد كانوا أول من يؤمن من هذه القرية ، لقد هاجروا من قريتهم لكيلا يفتنوا في دينهم ، وها هم قد عادوا ، فمن حق أهل القرية الفرح ، وذهبوا لرؤيتهم .

وبعد أن ثبتت المعجزة ، معجزة إحياء الأموات ، وبعدما استيقنت قلوب أهل القرية قدرة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على بعث من يموت ، برؤية مثال واقعي ملموس أمامهم، أخذ الله أرواح الفتية ، فلكل نفس أجل ، ولا بد لها أن تموت ، فاختلف أهل القرية ، فمن مدعى لإقامة بنيان على كهفهم ، ومنهم من طالب ببناء مسجد ، وغلبت الفئة الثانية .

لا نزال نجهل كثيرًا من الأمور المتعلقة بهم ، فهل كانوا قبل زمن عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ، أم كانوا بعده ، هل آمنوا بربهم من تلقاء أنفسهم ، أم أن أحد

الحواريين دعاهم للإيمان ، هل كانوا في بلدة من بلاد الروم ، أم في فلسطين ، هل كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، أم خمسة سادسهم كلبهم ، أم سبعة وثامنهم كلبهم ، كل هذه أمور مجهولة ، إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ ينهانا عن الجدال في هذه الأمور ، ويأمرنا بإرجاع علمهم إلى الله ، فالعبرة ليست في العدد ، وإنما فيما آل إليه الأمر ، فلا يهم إن كانوا أربعة أو ثمانية ، إنما المهم أن الله أقامهم بعد أكثر من ثلاثمائة سنة ليرى من عاصرهم قدرة على بعث من في القبور ، ولتتناقل الأجيال خبر هذه المعجزة جيلًا بعد جيل [١].

قصة / الغلام والساحر :

عَنْ صُهَيْب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– ، قَالَ : «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ، فَلَمَّا كَبِرَ ، قَالَ لِلْمَلِك : إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلامًا حَتَّى أُعَلِّمَهُ السِّحْرَ ، فَبَعَثَ إِلَيْه غُلامَهُ فَعَلَّمَهُ ، وَكَانَ فِي الطَّرِيق إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْه فَسَمِعَ كَلامَهُ وَأَعْجَبَهُ ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ ، فَإِذَا رَجَعَ مِنْ عِنْدِ السَّاحِرِ قَعَدَ إِلَى الرَّاهِب فَسَمِعَ كَلامَهُ ، فَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ ضَرَبُوهُ فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِب ، فَقَالَ : إِذَا احْتَبَسْتَ عَلَى السَّاحِرِ، فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي ، وَإِذَا احْتَبَسْتَ عَلَى أَهْلِكَ ، فَقُلْ : حَبَسَنِي السَّاحِرُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّة عَظِيمَة قَدْ حَبَسَت النَّاسَ ، فَقَالَ : الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ خَيْرٌ أَم الرَّاهِبُ ، فَأَخَذَ حَجَرًا ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِب أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذه الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ ، فَرَمَى بِهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ الرَّاهِبُ : أَيْ بُنَيَّ ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا قَدْ أَرَى ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى ، فَإِذَا ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ ، وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ

(١) تفسير ابن كثير عند تفسير سورة الكهف .

الأَدْوَاء ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلك قَدْ كَانَ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَة ، فَقَالَ : لَكَ هَذَا إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي ، فَقَالَ : إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنْ ، آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَشَفَاكَ ، فَآمَنَ بِاللهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللهُ ، فَأَتَى الْمَلِكَ يَمْشِي فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَسَأَلَهُ : بِمَا شُفِيتَ ؟ قَالَ : بِدُعَاء الْغُلامِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْغُلامِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيْ بُنَيَّ ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا يُبْرِئُ الأَكْمَهُ وَالأَبْرَصِ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ ، قَالَ : إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِب ، فَجِيءَ بِالرَّاهِب ، فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَار فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِق رَأْسِه فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلام ، فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَر مِنْ أَصْحَابِه ، فَقَالَ لَهُمْ : اذْهَبُوا بِه إِلَى جَبَل كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِه فَإِذَا بَلَغَ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِه وَإِلا فَاطْرَحُوهُ ، فَذَهَبُوا بِه فَصَعِدُوا بِه الْجَبَلَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ كَيْفَ شِئْتَ ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِك ، فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ فَقَالَ : أَكْفَانِيهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَر مِنْ أَصْحَابِه ، فَقَالَ : احْمِلُوهُ فِي قُرْقُور فَتَوَسَّطُوا بِه الْبَحْرَ فَلجُوا بِه ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِه وَإِلا فَاقْذِفُوهُ فِيه ، فَذَهَبُوا بِه ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا ، فَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِك ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : أَكْفَانِيهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ لِلْمَلِك : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِه ، قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيد وَاحِد وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْع ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْس ثُمَّ قُلْ : بِسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلام ، ثُمَّ ارْمِنِي ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيد وَاحِد وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْع ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ الْغُلامُ يَدَهُ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ

فَمَاتَ ، فَقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ ، ثَلاثًا ثَلاثًا ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُهُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَأَمَرَ الأُخْدُودَ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ ، وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَاقْذِفُوهُ فِيهَا ، أَوْ قِيلَ لَهُ : اقْتَحِمْ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهَا الْغُلامُ : يَا أُمَّهْ ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى حَقٍّ (١) ».

قصة / فتى المدينة الصالح .:

ذكر الإمام ابن القيم في روضة المحبين قصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وهي تتعلق بشاب صالح كان عمر ينظر إليه ويعجب به، ويفرح بصلاحه وتقواه ويتفقده إذا غاب ، فرأته امرأة شابة حسناء ، فهويته وتعلقت به ، وطلبت السبيل إليه فاحتالت لها عجوز وقالت لها :

« أنا آتيك به » ثم جاءت لهذا الشاب وقالت له : إني امرأة عجوز ، وأن لي شاة لا أستطيع حلبها ، فلو أعنتني على ذلك لكان لك أجر .. وكانوا أحرص ما يكونون على الأجر فذهب معها ، ولما دخل البيت لم ير شاة ..

فقالت له العجوز : « الآن آتيك بها » فظهرت له المرأة الحسناء ، فراودته عن نفسه فاستعصم عنها ، وابتعد منها ولزم محرابًا يذكر الله عَزَّوَجَلَّ ..

فتعرضت له مرارًا فلم تقدر ، ولما آيست منه دعت وصاحت ، وقالت: « إن هذا هجم عليَّ يبغيني عن نفسي » فتوافد الناس إليه فضربوه فتفقد عمر في اليوم التالي ، فأتي به إليه وهو موثوق ، فقال عمر : « اللهم لا تخلف ظني

(١) أخرجه مسلم ج ٤ / ص ٢٣٠٠، برقم (٣٠٠٥) .
وفي رواية للترمذي أورد القصة ثم قال في آخرها:[فأما الغلام فإنه دفن فيذكر أنه أخرج في زمن عمر ابن الخطاب وإصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل].[٣٣٤٠] سنن الترمذي ج٥/ ص٤٣٧ .

فيه».. فقال للفتى : أصدقني الخبر فقص عليه القصة فأرسل عمر إلى جيران الفتاة ، ودعا بالعجائز من حولها ، حتى عرف الغلام تلك العجوز فرفع عمر درته وقال : أصدقيني الخبر فصدقته لأول وهلة ..

فقال عمر : الحمد الله الذي جعل فينا شبيه يوسف[1] .

قصة / عامر بن عبد قيس التميمي:

ومن قصص حفظ الله للعبد في دينه : ما حدث لعامر بن عبد قيس التميمي التابعي الجليل العابد الزاهد المشهور ، والذي سافر في قافلة ذات يوم ، فلما كان الليل جمع عامر متاعه ، وربط فرسه بشجرة ، وطوّل له زمامه وجمع له من حشائش الأرض ثم قام يصلي بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، فتبعه أحد رفاقه لينظر أين يذهب عامر التميمي؟! ، وماذا يصنع؟! ، فقد تكرر منه هذا الأمر كلما نام الناس أنسل من بينهم بهذه الصفة ثم ذهب! فوجده مستقبل القبلة يصلي صلاة لا أحسن منها ولا أكمل ولا أخشع، فلما صلى ما شاء الله أن يصلي ، طفق يدعو الله ويناجيه ، فكان مما قال :اللهم إني سألتك ثلاثًا فأعطيتني اثنتين ومنعتني واحدة.

اللهم فأني أسألك هذه الواحدة حتى أعبدك كما أحب وأريد وأخذ يلح على الله في هذه الواحدة .

فلما أنقضت الصلاة خرج له ذلك الرجل ففزع منه فزعًا شديدًا وأخذ يتوسل إليه أن يستر عليه وقال: أستر ما رأيت مني ستر الله عليك . قال : والله لا أستر عليك إلاّ أن تخبرني ما هذه الدعوات التي دعوت ؟!

قال : إن أخبرتك ، تستر علي ؟!.

(١) روضه المحبين ص ٤٥٩ .

قال :نعم .

قال : أما الأولى:فدعوت الله أن يذهب من قلبي فتنة النساء ، فوالله الذي لا إله غيره ما أصبحت أبالي جدارًا أم امرأة .

وأما الثانية:فدعوت الله تعالى أن يذهب من قلبي مخافة الرجال،فوالله ما أصبحت أخاف إلا الله.

وأما الثالثة والتي لم تجب :فدعوة الله أن يذهب عني سِنة النوم حتى أعبد الله عمري كله [1]! ، رحمك الله يا عامر، ماذا نقول عن حالنا ونحن نتفنن في تقطيع الأوقات بشتى وسائل الترفيه والتسلية كما يقال ؟!!

والشاهد : كيف حفظ الله عامر التميمي رحمه الله من شهوة أو فتنة النساء لما كان حافظًا لله تعالى ! .

قصة / عبيد ابن عمير :

ومن القصص حدث لعبيد بن عمير التابعي الجليل والعالم العابد التقي النقي . ذكر أبو الفرج وغيره : أن امرأة جميله كانت بمكة وكان لها زوج فنضرت ذات يوم إلى وجهها في المرأة فقالت لزوجها :أترى أحد يرى هذا الوجه ولا يفتتن به قال: نعم قالت من قال عبيد ابن عمير قالت: إذن لي فيه فلأفتنه قال: قد أذنت لكي فاتته كالمستفتية فخلى معها في ناحية من المسجد الحرام فأسفرت عن وجهها مثل فلقة القمر فقال لها: يا أمت الله استتري فقالت:إني قد فُتنت بك فقال: إني سائلك عن شيء إذا صدقتيني نظرت في أمرك قالت: والله لا تسألني عن شيء إلا صدقتك ، قال: أرئيتِ لو أن ملك الموت أتاكِ الساعة ليقبض روحكِ أكان يسرك أن اقضي لك هذه الحاجة؟!، قالت :اللهم لا قال:صدقتي، قال:فلو دخلتي قبرك وجلستي للمسائلة أيسرك أني قضيت

(١) سير أعلام النبلاء بتصرف .

لك حاجتك؟! قالت: اللهم لا ، فقال صدقتي قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بيسارك أكان يسرك أن قضيت لك حاجتك؟! قالت اللهم لا ،فقال صدقتي، قال: فلو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أو يثقل أكان يسرك أني قضين حاجتك؟! فقالت: اللهم لا ، فقال صدقتي قال: فلو وقفتي بين يدي الله للمسائلة أكان يسرك أن قضيتها لك ؟! فقالت اللهم لا ،فقال: صدقتي، ثم قال اتقي الله يا أمة الله فقد انعم الله عليك وأحسن إليك، قال: فرجعت إلى زوجها فقال: ما صنعتي فقالت :أنت بطال ونحن بطالون فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد ابن عمير افسد علي امرأتي كانت في كل لليله عروسًا فصيرها راهبة(١) .

قصة / أبو بكر المسكي:

ذكر ابن الجوزي في كتاب «المواعظ والمجالس» قال: قيل لأبي بكر المسكي إنا نشم رائحة المسك مع الدوام فما سببه فقال: والله لي سنين عديدة لم أمس المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت علي حتى أدخلتني دارها وأغلقت دوني الأبواب وراودتني عن نفسي فتحيرت في أمري فضاقت بي الحيل فقلت لها: إن لي حاجة في الطهارة ، فأمرت بجارية لها تمضي بي إلى بيت الراحة»مكان قضاء الحاجة» ففعلت فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة وألقيتها على جميع جسدي ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة فلما رأتني دهشت ثم أمرت بإخراجي فمضيت إلى بيتي واغتسلت فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام قائل يقول لي :فعلت مالم يفعله احد غيرك لأطيبن ريحك في الدنيا والآخرة فأصبحت والمسك يفوح مني واستمرت تلك الرائحة لا تنقطع وبقيت حتى مات (٢).

(١) روضة المحبين ص ٢٤٥ .
(٢) المواعظ والمجالس ص ٢٢٤، والجزاء من جنس العمل ١٢٨/ ٢ .

قصة / شاب حفظ الله فحفظه :

شابٌ عابدٌ كان حسن السمت ، كثير العبادة ، نظرت إليه فتاة فشُغفت به ، وتعلقت به ، فقالت له يوم من الأيام وقد تعرّضت له : يا فتى اسمع مني كلمات ، أكلمك بها ... وهو لا يكلمها .

كل يوم تعترض طريقه ، تقول : يا شابَ أريد أن أكلمك كلمات ، وهو لا يكلمها ، حتى وقف في يوم من الأيام فقالت له : يا فلان .. إن جوارحي كلها مشغولة بك ، فالله الله في أمري وأمرك .

فذهب الشاب إلى منزله ، أراد أن يصلي .. فلم يعقل كيف يصلي ..

فأخذ كتابًا وكتب فيها كلامًا ، فلما رآها في الطريق ألقي إليها الكتاب ففتحت الشابة الكتاب بلهفة ما بعدها لهفة ! ماذا في هذا الكتاب ؟ إن فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلمي أيتها المرأة أن الله عزّ وجلّ إذا عصاه العبد أول مرة حلم ، فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستر ، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله لنفسه غضبة تضيق لها السماوات والأرض والجبال والشجر والدوّاب ! ، فمن ذا يُطيق غضبه ؟! .

يا فلانة .. إن كان ما ذكرت باطلًا فإني أذكّركِ يومًا تكون السماء فيه كالمهل، وتصير الجبال كالعهن ، وتجثو الأمم لصولة الجبّار العظيم .

وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي ، فكيف بإصلاح غيري ؟! يا فلانة .. وإن كان ما ذكرت حقًا فإني أدلك على طبيب يداوي الكلوم والأوجاع المريضة .. ذلك هو الله ربّ العالمين . فاقصد بصدق المسألة ، فإني مشغولٌ عنكِ بقول الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ

﴿كَظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٨ - ١٩] .

فأين المهرب من هذه الآيات ؟!! . وتعرّضت له بعد أيام ، فتركها .. فقالت له : يا فلان .. يا فلان لا ترجع !؛ فلا كان المُلتقى بعد هذا أبدًا إلاّ بين يدي الله ! ثم ذهبت وقالت له : عظني بموعظة أحملها عنك ، قال : أوصيكِ بحفظ نفسك من نفسك، وأذكركِ قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

7 المبحث السابع

حفظ الله للعبد عند موته وبعده

إن من حفظ الله للعبد أن يحفظ عليه دينه عندَ موته ، فيتوفاه على الإيمان ، ويتوفاه على الشهادتين، ويحفظه عند ساعة الاحتضار ، عند فراق هذه الدنيا في تلك اللحظة الحرجة ، التي يحرص الشيطان على اصطياد المرء فيها ، ولكن المؤمن الصادق يثبته الله بالقول الثابت ... ويحفظه ، ويسدده ، ويوفقه لقول كلمة التوحيد ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ .

قال بعض السلف : « إذا حضر الرجل الموت يقال للملك : شمَّ رأسه ، قال : أجد في رأسه القرآن ، قال : شمَّ قلبه ، قال : أجد في قلبه الصيام ، قال: شمَّ قدميه ، قال : أجد في قدميه القيام ، قال : حفظ نفسه ، فحفظه الله(١) » .

قصة / رجل من الملوك :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، كَانَ فِي مَمْلَكَتِهِ ، فَتَفَكَّرَ ، فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مُنْقَطِعٌ عَنْهُ ، وَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ قَدْ شَغَلَهُ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ ، فَتَسَرَّبَ فَانْسَابَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ قَصْرِهِ، فَأَصْبَحَ فِي مَمْلَكَةِ غَيْرِهِ ، وَأَتَى سَاحِلَ الْبَحْرِ ، وَكَانَ بِهِ يَضْرِبُ اللَّبِنَ بِالْأَجْرِ، فَيَأْكُلُ وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَضْلِ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ ، حَتَّى رَقِيَ أَمْرُهُ إِلَى مَلِكِهِمْ ، وَعِبَادَتُهُ وَفَضْلُهُ ، فَأَرْسَلَ مَلِكُهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ ، فَأَعَادَ ثُمَّ أَعَادَ إِلَيْهِ ، فَأَبَى أَنْ يَأْتِيَهُ ، وَقَالَ : مَا لَهُ وَمَالِي ؟ ! قَالَ : فَرَكِبَ الْمَلِكُ ، فَلَمَّا رَآهُ الرَّجُلُ

(١) ذكره ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » عند شرح حديث « احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ».

وَلَّى هَارِبًا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمَلِكُ رَكَضَ فِي أَثَرِهِ ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ ، قَالَ : فَنَادَاهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ مِنِّي بَأْسٌ ، فَأَقَامَ حَتَّى أَدْرَكَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، صَاحِبُ مُلْكِ كَذَا وَكَذَا ، تفكرت في أمري ، فعلمت أن ما أَنَا فِيهِ مُنْقَطِعٌ ، فَإِنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي ، فَتَرَكْتُهُ ، وَجِئْتُ هَاهُنَا أَعْبُدُ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ ، فَقَالَ : مَا أَنْتَ بِأَحْوَجَ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِنِّي ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ ، فَسَيَّبَهَا ، ثُمَّ تَبِعَهُ ، فَكَانَا جَمِيعًا يَعْبُدَانِ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ ، فَدَعَوَا اللَّهَ أَنْ يُمِيتَهُمَا جَمِيعًا ، قَالَ : فَمَاتَا ، قَالَ عَبْدُ اللهِ : لَوْ كُنْتُ بِرُمَيْلَةِ مِصْرَ ، لَأَرَيْتُكُمْ قُبُورَهُمَا بِالنَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قصة / عاصم بن ثابت -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- :

كان عاصم بن ثابت مؤمنًا عميق الإيمان صادقًا وكان يبغض الشرك وأهله أشد ما يكون البغض وأبلغه حتى أنه نذر إلى الله أن لا يمس مشركًا ولا يمسه مشرك ..

وكان من الرماة المشهود لهم بإجادة الرمي وقد كان يوم أُحد يرمي المشركين فلا تخيب له رمية ..

رمى يوم أحد بسهم فأصاب من المشركين شابًا يقال له مسافع بن طلحة فهرع مسافع إلى أمه والدم يتدفق منه فوضعته أمه سلافة بنت سعد على فخذها وهو يجود بأنفاسه وسألته: يا بني ... من أصابك ؟؟ .

قال أصابني رجل وقال : خذها وأنا ابن أبي الأقلح .

امتلأ قلب سلافه حقدًا وفاض .. فقالت : علي إن أمكنني الله من عاصم ابن أبي الأقلح أن أشرب في قحف رأسه الخمر .

ولم يمض على يوم أحد سوى عام أو دونه حتى أتى رسول الله ﷺ رهط

من عضل والقارة فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاما فأبعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرنوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام .. فبعث معهم رسول الله ﷺ ستة نفر منهم عاصم، فلما وصلوا إلى ماء لهذيل يقال له الرجيع غدر بهم القوم وأحاطوا بهم وسيوفهم مشرعة فأسرع المسلمون الستة إلى سيوفهم فاستلوها فقال لهم الغادرون : إنا لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة .. فأبى عاصم وثلاثة آخرون الاستسلام فقاتلوا حتى استشهدوا ..

وأراد الغادرون أن يأخذوا رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد لعلمهم بما نذرت عند مقتل ولدها يوم أحد فلما اقتربوا منه أرسل الله النحل فأخذت تدور حول رأسه فقال القوم: دعوه حتى يمسي وتذهب الدبر (النحل) عنه .. فلما أمسى القوم أرسل الله مطرًا غزيرًا أسال الوادي بالماء فاحتمل جثة عاصم فلما أصبحوا لم يجدوا لها أثرا ..

وعندما بلغ المسلمين في المدينة أن النحل منعت عاصماً قال عمر بن الخطاب : كان عاصم نذر أن لا يمسه مشركًا أبدا في حياته فمنعه الله بعد وفاته كما أمتنع منه في حياته .

قصة / والد جابر - رضي الله عنه - :

عَنْ جَابِربن عبْد الله ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ : مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ ، غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا ، فَأَصْبَحْنَا ، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِي قَبْرٍ ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ ،

فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً غَيْرَ أُذُنِهِ [1]» .

قصة / امرأة حفظت الله فحفظها عند موتها :

ذكر الشيخ عائض بن عبد الله القرني ـ حفظه الله ـ واقعة فيها العظة والعبرة، قال : « من الناس من عمل ليوم موته فهم دائمًا متهيئون للقاء الله مترقبون للموت في كل لحظة.. خرج رجل من الصالحين ـ أعرفه ـ خرج بزوجته من الرياض يريد العمرة وكانت زوجته صائمه ، قائمة ، وليَّة الله تعالى ، وقبل السفر ، حدث شيء غريب ، وهو أن هذه المرأة أخذت تودع أطفالها ، وتقبلهم، ثم كتبت وصيتها وهي تبكي ، كأنه ألقى في خلدها ، أنها ستموت .

ذهب الرجل بأهله واعتمر ، وفي طريق العودة أتى الأجل المحتوم :﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم: ٦ - ٧] ، انحرف إطار السيارة فانقلبت ، ووقعت المرأة على رأسها ، ولكنها شهيدة إن شاء الله :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٦] .

خرج زوجها من السيارة ، ووقف [عندها] في سكرات الموت تقول : لا إله إلا الله .. محمد رسول الله .. الله .. الله .. الله ، ثم قالت لزوجها عفا الله عنك ، اللقاء في الجنة ، بلغ أهلي السلام .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِىٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور: ٢١].

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجمع تلك الأسرة في الجنة ، إنه على كل شيء قدير.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨٦).

عاد الرجل وحده إلى الرياض ، فدخل بيته ، واستقبله أطفاله ، وكان الموقف الرهيب..!

قالت له طفلة من بناته : أين أمي ؟؟! ، فيجيب الرجل : سوف تأتي ..

فتقول الطفلة : لا والله ، لا بد أن أرى أمي .

وعندئذٍ انهار الرجل ، ولم يتمالك نفسه ، ولم يجد جوابًا لابنته ...

فنقول لتلك الطفلة : سوف ترين أمك بإذن الله ، سوف ترينها في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين [1]».

قصة / شاب حفظ الله فحفظه :

يقول كنت مناوبًا في أحد الأيام وتم استدعائي إلى الإسعاف فإذا بشاب في ١٦ أو ١٧ من عمره يصارع الموت ، الذين أتوا به يقولون إنه كان يقرأ القرآن في المسجد ينتظر إقامة صلاة الفجر فلما أقيمت الصلاة رد المصحف إلى مكانه نهض ليقف في الصف فإذا به يخر مغشيًا عليه فأتينا به إلى هنا .

تم الكشف عليه فإذا به مصاب بجلطة كبيرة في القلب لو أصيب بها جمل لخر صريعًا ، كنا نحاول إسعافه ، حالته خطيرة جدًا ، أوقفت طبيب الإسعاف عنده وذهبت لأحضر بعض الأشياء .

عدت بعد دقائق فرأيت الشاب ممسكًا بيد طبيب الإسعاف والطبيب واضعًا أذنه عند فم الشاب والشاب يهمس في أذن الطبيب ، لحظات وأطلق الشاب يد الطبيب ثم أخذ يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله وأخذ يكررها حتى فارقت روحه الحياة ، أخذ طبيب الإسعاف بالبكاء تعجبنا من بكاءه ، إنها ليست أول مرة ترى فيها متوفيًا أو محتضرًا فلم يجب

(١) المسك والعنبر ص ١٥ -١٦، بتصرف .

وعندما هدأ سألناه ماذا كان يقول لك الشاب ؛ وما الذي يبكيك ؟ .

قال: لما رآك يا دكتور خالد تأمر وتنهي وتذهب وتجيء عرف أنك الدكتور المسئول عن حالته فناداني وقال لي : قال لطبيب القلب هذا لا يتعب نفسه فوالله إني ميت ، والله إني لأرى الحور العين وأرى مكاني في الجنة الآن ثم أطلق يدي ؟ .

قصة / العجوز الساجدة :

قصة رواها الشيخ علي القرني : ها هي عجوز بلغت الثمانين من عمرها في مدينة الرياض، هذه العجوز جلست مع النساء فرأت أنهن لا ينتفعن بأوقاتهن، جلساتهن في قيل وقال ، في غيبة ونميمة ، في فلانة قصيرة ، وفلانة طويلة ، وفلانة عندها كذا ، وفلانة ليست عندها كذا ، وفلانة طلقت وفلانة تزوجت .. كلام إن لم يبعدهن عن الله عَزَّوَجَلَّ فهو تضييع لأوقاتهن ، فاعتزلت النساء وجلست في بيتها تذكر الله عَزَّوَجَلَّ آناء الليل وأطراف النهار ، وكان أن وضعت لها سجادة في البيت تقوم من الليل أكثره .

وفي ليلة قامت ولها ولد بار بها لا تملك غير هذا الولد من هذه الدنيا بعد الله عَزَّوَجَلَّ ما كان منها إلا أن قامت لتصلي في ليلة من الليالي ، وفي آخر الليل يقول ابنها : وإذا بها تنادي . قال : فتقدمت وذهبت إليها ، فإذا هي ساجدة على هيئة السجود ، وتقول : يا بني ما يتحرك في الآن سوى لساني . قال : إذًا أذهب بك إلى المستشفى . قالت : لا ، وإنما أقعدني هنا . قال : لا والله لأذهبن بك إلى المستشفى . وقد كان حريصًا على برها جزاه الله خيرًا ، فأخذها وذهب بها إلى المستشفى . وتجمع الأطباء وقام كل يدلي بما لديه من الأسباب ، لكن لا ينجي حذر من قدر . حللوا وافعلوا واعملوا ولكن الشفاء بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وبحمده . قالت : أسألك بالله إلا رددتني على سجادتي في بيتي فأخذها وذهب بها إلى البيت ، ويوم ذهب إلى البيت وضأها ثم أعادها على سجادتها ، فقامت تصلي . يقول : وقبل الفجر بوقت ليس بطويل ، وإذا بها تناديني وتقول: يا بني أستودعك الله الذي لا تضييع ودائعه. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لتلفظ نفسها إلى بارئها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فما كان من ولدها إلا أن قام فغسلها وهي ساجدة وكفنها وهي ساجدة وحملوها إلى الصلاة عليها، وهي ساجدة وحملوها بنعشها إلى القبر وهي ساجدة وجاءوا بها إلى القبر ، فزادوا في عرض القبر لتدفن وهي ساجدة ، ومن مات على شيء بعث عليه ، تبعث بإذن ربها ساجدة [1].

قصة / المتعبد والمرأة الجميلة :

ومما يشبه ذلك ما حكي عن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال : كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم للمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه ، وكان حسن الوجه حسن الصمت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به ، وطال ذلك عليهما . فلما كان ذات يوم وقفت له على طريق وهو يريد المسجد .

فقالت له يا فتى اسمع مني كلمة أكلمك بها ثم اعمل ما شئت . فمضى ولم يكلمها ، ثم وقفت له بعد ذلك على طريق وهو يريد منزله فقالت له : يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بهن. قال : فاطرق مليًا وقال لها : هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعًا . فقالت : والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ، ولكن معاذ الله أن يشرف العباد لمثل هذا مني ، والذي حملني على أن ألقي في هذا الأمر نفسي معرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير، وأنتم معاشر العباد في مثل هذا القري يغيركم أدنى شيء ، وجملة ما أكلمك به أن

(١) علامات حسن الخاتمة للشيخ علي القرني .

جوارحي مشغولة بك ، فألله الله في أمري وأمرك . قال : فمضى الشاب إلى منزله فأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي ، وأخذ قرطاسًا وكتب كتابًا وخرج من منزله ، فإذا المرأة واقفة في موضعها ، فألقى إليها الكتاب ورجع إلى منزله .

وكان في الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم » اعلمي أيتها المرأة أن الله تبارك وتعالى إذا عصى مسلم ستره ، فإذا عاد العبد في المعصية ستره ، فإذا لبس ملابسها غضب الله عَزَّوَجَلَّ لنفسه غضبة تضيق منها السماوات والأرض والجبال والشجر والدواب . فمن يطيق غضبه! فإن كان ما ذكرت باطلًا فإني أذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم فإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف عن غيري . وإن كان ما ذكرت حقًا فإني أدلك على طبيب يداوي الكلوم المرضة والأوجاع المرضة ذلك رب العالمين ، فاقصديه على صدق المسألة ، فأنا متشاغل عنك بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ [غافر: ١٨ - ٢٠].

فأين المهرب من هذه الآية ؟! .

ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت على طريقه ، فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله لئلا يراها . فقالت له : يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا إلا بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ .

وبكت بكاء كثيرًا شديدًا ، وقالت : أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما عسر من أمرك . ثم تبعته فقالت : أمنن علي بموعظة أحملها ، وأوصني بوصية أعمل عليها ، فقال لها الفتى : أوصيك بتقوى الله وحفظ

١٤٠

نفسك واذكري قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠] ، قال : فاطرقت فبكت بكاء شديدًا أشد من بكائها الأول ، ولزمت بيتها ، وأخذت في العبادة ، فلم تزل كذلك حتى ماتت كمدًا ، فكان الفتى يذكرها بعد ذلك ويبكي رحمة لها . انتهت .

فهذه المرأة ، وإن لم تنل من محبوبها أملًا ، فقد نالت به قصد صالحًا وعملًا، فرزقها الله بسببه الإنابة وسهل عليها بموعظته العبادة ولعلها في الآخرة يتحصل قصدها ويجتمع بمن أحبته شملها .

قصة / شيخ اتسع له اللحد مد البصر :

هذه القصة على لسان ولده نحسبه من الصادقين-ولا نزكي على الله أحد- العم الشيخ/ محمد العثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علماء الكويت الأجلاء المعروفين لدى كبار السن ، فقد كان كفيفًا (أعمى البصر نير البصيرة) وهو معروف لدى الكويتيين بصلاحه وقرائته على المرضى لعلاجهم ، وقد شفى به الله كثير من عباده .

فعندما أحس الشيخ في أحد الأيام باقتراب الأجل بعد صلاة المغرب طلب من ولده أن يأخذه للمستشفى وقال لولده أنا جمعت صلاة المغرب والعشاء تقديم لأني أحس بدنو الأجل وستعود وحدك من المستشفى .

وبينما هم يسيرون إلى المستشفى قال الشيخ لولده أنه يرى ملائكة في جانب الطريق وهم ينظرون إليه ويبتسمون (وهو أعمى أصلًا ولا يبصر) لكنه أبصر عند دنو أجله . وكلما تقدموا بالطريق يراهم يزدادون ، أي الملائكة .

ولما وصلوا إلى المستشفى وأدخلوه إلى غرفة العناية الفائقة وكانت الغرفة ضيقة وهو ينازع ويذكر الله كلما فاق ويقول لولده أرى عربًا كثيرًا أي جمعًا

كثيرًا في الغرفة وأرى نورًا فيقول له ولده : ليس في الغرفة إلا أنا وأنت لكنه يصر أي الشيخ على وجود الكثيرين .

لكنه يقول لولده وهو في السكرات سلم على والدتك وإخوانك والأقرباء ثم تشهد ومات يرحمه الله . وعندما غسلوه وكفنوه وأنزلوه إلى قبره نزل معه ولده وأحد الحاضرين ليلحدوه فلما فرغوا من دفنه وكان العزاء سأل أحد الحضور عن ولد الشيخ الذي نزل القبر فأرشدوه إليه ، فقال له أنا الذي نزلت معك لنلحد أباك فهل رأيت ما رأيت .

عندما أدخلنا جنازة الشيخ في لحده قال نعم فيقول ولد الشيخ على لسانه عندما أدخلنا الشيخ محمد العثمان في لحده أتسع اللحد مد البصر فسبحان الله العظيم يقول راوي القصة فقد كان معروفًا بصلاحه وذكره الكثير لله تبارك وتعالى وقراءة القرآن ؟!

ما أجمل هذه الوفاة :

كان شابًا مثل كل الشباب ولد في أحد قرى كردستان ، ثم سافر به أبوه إلى دمشق وترعرع في دمشق وتتلمذ تحت نخبة من شيوخها ، حتى تم العلوم الشرعية وهو ابن ٢٠سنة ، وأصابه كبر عجيب وصار يتفاخر على معارفه بعلمه إلى أن أراد الله هدايته ، فجاءه شخص بسيط ونصحه بحضور مجلس تزكية لأحد كبار الشيوخ في جبل قاسيون فأعرض في البداية ثم لم يلبث أن شرح الله صدره وذهب لذلك المجلس وتأثر به تأثرًا عظيمًا ، وصار يواظب على حضوره ، فتغير تغيرًا جذريًا تقول زوجته « لقد كان الشيخ أمين إذا وضعت له الطعام وكان مالحًا قليلًا أو ملحه ناقصًا يقيم الدنيا ويقعدها وبعد التزامه وضعت له طعامًا مالحًا فابتسم وقال لي : هاتي القليل من الملح حتى لا

يكسر بخاطري » .

وبدأ هذا الشيخ بالتعليم والتدريس وأفاد الله تعالى به خلقًا كثيرًا وفي آخر أيامه أصابه مرض يصعب الحركة به فكان يقاوم ويقوم ليعظ الناس متيقنًا بأن الله لن يضيع عمله وأن الله عنده حسن ظن عبده به.

فقد جاء الموت للشيخ أمين وهو ابن ٦٣ سَنة وحوله تلاميذه وابنه الشيخ أحمد فأحس بالموت وأحس من حوله بذلك فهموا بتلقينه الشهادة فالتفت إليهم وصار يقول لهم قولوا : لا إله إلا الله قولوا لا إله إلا الله » بدل أن يقولوا له ثم ضعف صوته وشخص بصره وهو يقول: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] ، والتفت إلى من حوله بما يملك من قوة قائلًا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وفاضت روحه في تلك الليلة ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر إلى بارئها ، فما أجمل هذه الوفاة ؟!

وقفات ختامية

الوقفة الأولى : هكذا علمتني الحياة .

علمتني الحياة أن من حفظ اللّه حفظه اللّه :

ومن وقف عند أوامر الله بالامتثال ، ونواهيه بالاجتناب ، وحدوده بعدم التجاوز حفظه الله .

من حفظ الراس وما وعى ، والبطن وما حوى : حفظه الله .

من حفظ ما بين فكيه وما بين رجليه : حفظه الله .

من حفظ الله في وقت الرخاء : حفظه الله في وقت الشدة .

من حفظ الله في شبابه : حفظه الله عند ضعف قوته .

﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤ ﴾ [يوسف: ٦٤].

الوقفة الثانية : اعمل ما شئت كما تدين تدان .

فهناك صنف من الناس دائم الشكوى والتبرم والتظلم ، ولا يكفّ عن إلقاء اللوم على غيره ، ويتساءل دائماً في حيرة وقلق :

لماذا لا يوفقني الله لطاعته ؟، لماذا يجعلني من أهل معصيته ؟، لماذا يبتليني بالأمراض والضعف في بدني ؟، لماذا يكدر عليّ معيشتي ؟، لماذا لا يجعلني أشعر بالسعادة والفرح والسرور ؟!!.

لماذا يبتليني بالهموم والغموم والأحزان وضيق الصدر ؟

١٤٤

لماذا يوقعني في المصائب والفشل والبلايا ؟، لماذا يبتليني بالغضب وضعف البصيرة ؟

ولو تأمل هذا المشتكي في ذلك ، لعلم أن الآفة فيه والبلية منه ، فسبب تلك الشرور والمصائب التي تحيط بالإنسان هي نفسه التي بين جنبيه ! ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ [آل عمران: ١٦٥] ، و﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ [النساء: ٧٩] ، و﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى: ٣٠].

فالجزاء من جنس العمل ، والحصاد من جنس البذرة ، واعمل ما شئت فكما تدين تدان !! ،ولكن الإنسان لا يرى ذلك؛ لأنه طُبع على الجهل والظلم وحُسن الظن بالنفس والرضى بأفعالها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ، و﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ ﴾ [العاديات: ٦] .

قال ابن عباس ومجاهد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا : كفور جحود للنعم .

وقال الحسن : هو الذي يعدُّ المصائب وينسى النعم .

وقال أبو عبيدة : هو قليل الخير .

هكذا أنت أيها الإنسان ! أنت الظالم الجاهل .. الكفور الكنود .. الجحود لنعم الله تعالى ... إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ من عباده الصالحين ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ

ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].

كيف تشتكي وأنت القاعد في طريق مصالحك تقطعها عن الوصول إليك ؟ وكيف تتبرم وأنـت الغيم المانع لإشراق شمس الهـدى على قلبك ؟ وكيف تتظلم وأن الحجر الذي قد سد مجرى الماء الذي به حياتك ؟ ، ومع ذلك تستغيث : العطش العطش !!

فليس منك أضر منك على نفسك كما قيل :

مـا تبلغ الأعـــداءُ مـن جاهل   مـا يبلغ الجـاهـل عــن نفسه

فأنت الظالم وتدعي أنك مظلوم .. وأنت المعرض وتزعم أنهم طردوك وأبعدوك !! ، تولي ظهرك الباب .. بل تغلقه على نفسك .. وترمي مفتاحه وتضيعه وتقول :

دعاني وسدَّ الباب دوني فهل إلى   دخولي سبيل بينوا لي قصتي !!

الوقفة الثالثة : كن عاقلًا :

أما العاقل : فإنه ينظر إلى نفسه ، ويحاسبها ، ويعرف أنها محلُ جناية ومصدر البلاء ؛ لأنها خلقت ظالمة جاهلة ، وأن الجهل والظلم يصدر عنهما كل قول وفعل قبيح .

وهذا النظر يدعوه إلى العمل على إخراجها من هذين الوصفين ، فيبذل جهده في تعلم العلم النافع الذي يخرجها عن وصف الجهل ، ويبذل جهده في اكتساب العمل الصالح الذي يخرجها به عن وصف الظلم .

ويرغب إلى خالقها وفاطرها أن يقيها شرها ، وأن يؤتيها تقواها ، وأن يزكيها فهو خير من زكاها ، فهو وليّها ومولاها،وألا يكله إلى نفسه طرفة عين،

فإنه إن أوكله إليها هلك .

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾[التغابن: ١٦].

فيا عبد الله !!!

إذا وقعت في معصية ، فاعلم أن ذلك منك لا من غيرك .

وإذا نزل بك بلاء ، فبسبب جهلك وظلمك .

وإذا عشت في ضيق وهم وغمٍّ وكرب وخوف وقلق ، فاعلم أن ذلك بسبب بعدك عن ربك ، وإعراضك عن خالقك وفاطرك ..

فانظر في نفسك .. ودقّق النظر ، فسترى سبب ذلك لائحًا أمام عينيك .

أما إذا لم تر ذلك ، فالأمر كما قال الشاعر :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ وينكر الفم طعم الماء من سقم

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾[الزلزلة: ٧ - ٨].

الوقفة الرابعة : كفى مخادعة .

* فيا من تشكو وتتظلم وتتبرم !

* أين أنت من القيام بواجب العبودية لله عَزَّوَجَلَّ ؟

* أين عبودية قلبك ؟

* أين عبودية لسانك ؟

* أين عبودية جوارحك ؟

* أين أنت من الصلاة ؟
* أين أنت من الزكاة ؟
* أين أنت من الصيام ؟
* أين أنت من الزكاة ؟
* أين أنت من الحج ؟
* أين أنت من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟
* أين أنت من بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران ؟
* أين أنت من مصاحبة الأخيار والتخلق بأخلاقهم ؟
* أين أنت من ترك صحبة الأشرار وتكثير سوادهم ؟
* أين أنت من مزاحمة العلماء بالركب وحضور مجالسهم ؟
* أين أنت من الاهتمام بشؤون المسلمين والدعاء لهم والتألم لآلامهم ومصائبهم ؟
* أين أنت من صدق الحديث والوفاء بالوعد وأداء الأمانة ، وترك الغيبة والنميمة والحسد والبغضاء؟
* أين مراقبتك لله وقد جعلته أهون الناظرينَ إليك ؟
* أين شكرك للنعم وأنت تستخدم نعمه في محاربتة ليلًا ونهارًا ؟
* أين حفظك للرأس وما وعى ؟
* أين حفظك للبطن وما حوى ؟
* أين ذكرك للموت والبلى ؟

* فالعين : منك مسخَّرة في النظر إلى المحرمات ، ومشاهدة القنوات التي تعرض للعهر والفجور ، وتدعو إلى الفساد والرذيلة .

* واليدُ : جعلتها وسيلة لإيذاء من لا يحلُّ لك إيذاؤه ، أو لمس ما لا يحلُّ لك لمسه ، أو تناول مالا يجوز لك تناوله .

* والرجلُّ : وظفتها في السعي إلى الحرام ، وإيذاء عباد الله الصالحين ، بدلًا من السعي إلى الطاعات وإقام الصلوات .

* والقلب : يهوى ويتمنى .. والفرج : يصدّق ذلك أو يكذّبه .

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾[النور: ٢٤ - ٢٥].

الوقفة الخامسة : سبيل النجاة :

أخي المفرّط ! هذا بعض ما جَنَتْه يداك .. وهذه عاقبة أفعالك ومعاصيك، ولكنك لا تشعر :﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق: ٢٢] .

أما في الدنيا : فأنت من أعظم الناس غرورًا .. ترجوا النجاة ، وتأمل السعادة والراحة ، وتطمع في الفرح والسرور والسكينة والطمأنينة،مع أنك دائم السير في الطرق الموصلة إلى أضداد هذه الأمور.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليَبَسِ

الوقفة السادسة : احْفَظْ اللّهَ يَحْفَظْكَ :

هكذا قال ﷺ: « احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ » .

احْفَظْ اللَّهَ : يحفظك إنها وصية عظيمة القدر للأمة جمعاء ، وإرشاد نبوي لكل من أراد النجاة ، والسعادة ، والفلاح في الدنيا والآخرة .

احْفَظْ اللَّهَ: يحفظك ويرعاك في غدوك ورواحك ، وفي السلم وفي الحرب، وفي الأمن وفي الخوف.

احْفَظْ اللَّهَ : يحفظك في العاجلة والآجلة ، وفي الدين والدنيا .

احْفَظْ اللَّهَ : يحفظ قلبك من كلّ شبهة وشهوة ، وعقلك من أي شك وحيرة .

احْفَظْ اللَّهَ : يحفظك من كلَّ عادٍ وصائل ، وغادر وفاجر ، ومن شرَّ كلَّ ذي شر .

احْفَظْ اللَّهَ : يحفظك في أصلك وعقبك ، وفي مالك وكل مكتسباتك ومدَّخراتك

احْفَظْ اللَّهَ : يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي الأخرى من أنواع العقاب والدركات.

احْفَظْ اللَّهَ : يحفظك من شياطين الإنس والجن .

احْفَظْ اللَّهَ : يحفظك قلبك من الشهوات ، ونيران الغضب .

احْفَظْ اللَّهَ : يحفظك من الوقوع في الذنوب ، ويحرسك من مكائد الشيطان، ويسلمك من شره وفتنته .

احْفَظْ اللَّهَ بطاعته يحفظك من معصيته .

احْفَظْ اللَّهَ بأكل الحلال يحفظك من الحرام .

احْفَظْ اللَّهَ بصحبة الصالحين يحفظك من الطالحين .

احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ في العاجلة والآجلة .

احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ من كل شبهة وشهوة

احْفَظْ اللهَ : يحفظك في دينك ، وفي إيمانك ، وعقيدتك ، وفي يقينك

احْفَظْ اللهَ .. يحفظك .. ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤].

وختامًا :

أسأل الله الحافظ والحفيظ ، أن يحفظني وجميع المسلمين من كل هوى وشهوة نفس وفكر لا يرضى به الله ، ومن الشيطان الرجيم ، وأن يحفظنا وكل مؤمن ومسلم، وكل بلاد المسلمين والناس المستضعفين من شر كل باغي وطاغية ومعاند للحق وظالم وحاسد وحاقد وماكر ومكايد ، ويكفينا شرهم ويحفظنا بركنه الذي لا يرام، ويحرسنا بعينه التي لا تنام، فإنه رب الأنام وهو المؤمن المهيمن ورب السلام الحق .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين

١٥١

١٥٢

المحتويات

١٦٠